# مسألة الشرور وعلاقتها بالعدل الإلهي

## في فكر الشيخ محمد متولي الشعراوي

تأليف:

د. أحمد عامر بن محمد العربي باي
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي
بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي- الجزائر

ALSHIHAB

# الشهاب

فصلية

عالمية

محكمة

متخصصة في البحوث والدراسات الإسلامية

تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي - الجزائر

ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485

المجلد الرابع - العدد الثاني - رمضان 1439هـ/ يونيو (جوان) 2018م

مجلة الشهاب

معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

11

المجلد 04 - العدد 02

منشورات جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي :

فصلية
عالمية
محكمة

ALSHIHAB

# الشهاب

متخصصة في البحوث والدراسات الإسلامية

تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي – الجزائر

ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485

مجلد : 04ـ عدد : 02ـ رمضان 1439 هـ / جوان 2018 م

المدير الشرفي
أ.د. عمر فرحاتي

مدير المجلة مسؤول النشر
أ.د. إبراهيم رحماني

هيئة التحرير

رئيس التحرير : أ.د. مصطفى حميداتو (جامعة الوادي)
نائب رئيس التحرير: د. حسن بوخزنة (جامعة الوادي)
أ.د. أبو بكر لشهب (جامعة الوادي)
أ.د. رشيد كهوس (المغرب)
أ.د. سمير جاب الله (جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة)
أ.د. صالح خالد الشقيرات (السعودية)
أ.د. عبد القادر شاشي (تركيا)
أ.د. عبيد بوداود (جامعة معسكر)
أ.د. علي العجين (الأردن)
أ.د. فاطمة الزهراء عواطي (الإمارات ع م)
أ.د. يوسف عبد اللاوي (جامعة الوادي)
أ.د. نورة بن حسن (جامعة باتنة)

– للمراسلة: مدير مجلة الشهاب – معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي ، ص ب 789
مدينة الوادي 39000 ولاية الوادي – الجزائر.
البريد الإلكتروني: alshehab@univ-eloued.dz الموقع الإلكتروني: www.univ- eloued.dz

رقم الإيداع القانوني للمجلة بالمكتبة الوطنية: 6182 – 2015.
صفحة المجلة على البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

## الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

**(أ) من جامعة الوادي:**

**أ.د. أبو بكر لشهب** (أصول الفقه)

**أ.د. محمد رشيد بوغزالة** (الفقه الإسلامي)

**أ.د. إبراهيم رحماني** (الفقه المقارن)

**أ.د. كمال قدة** (علوم القرآن)

**أ.د. مصطفى حميداتو** (علوم الحديث)

**أ.د. يوسف عبد اللاوي** (علوم الحديث)

**أ.د. عبد الكريم بوغزالة**(علوم القرآن)

**أ.د. عبد الرحمن تركي** (العقيدة)

**(ب) من الجامعات الوطنية:**

**أ.د. الأخضر الأخضري** (جامعة وهران)

**أ.د. عبيد بوداود** (جامعة معسكر)

**أ.د. سليمان ناصر** (جامعة ورقلة)

**أ.د. عز الدين كيحل** (جامعة بسكرة)

**أ.د. سليمان ولد خسال** (جامعة المدية)

**أ.د. محمد خالد اسطنبولي** (جامعة أدرار)

**أ.د. صالح بوبشيش** (جامعة باتنة)

**أ.د. محمد سنيني** (جامعة البليدة)

**أ.د. صالح حمليل** (جامعة أدرار)

**أ.د. مقلاتي صحراوي** (جامعة باتنة)

**أ.د. عبد القادر بن حرز الله** (جامعة باتنة)

**أ.د. مولود عويمر** (جامعة الجزائر2)

**أ.د. عبد القادر بن عزوز** (جامعة الجزائر1)

**أ.د. نصر سلمان** (جامعة الأمير عبد القادر)

**أ.د. نوار بن الشلي** (جامعة الأمير ع القادر)

**(ج) من خارج الوطن:**

**أ.د. أمين محمد القضاة** (عميد كلية الشريعة- الجامعة الأردنية)

**أ.د. بديع السيد اللحام** (عميد كلية الشريعة سابقا- جامعة دمشق - سوريا)

**أ.د. حسن عبد الغني أبو غدة** (جامعة الملك سعود بالرياض - السعودية)

**أ.د. رشيد بن محمد كهوس** (جامعة القرويين - المملكة المغربية)

**أ.د. صالح خالد الشقيرات** (جامعة الجوف - السعودية)

**أ.د. عبد الحق حميش** (جامعة حمد بن خليفة - قطر)

**أ.د. عبد العزيز دخان** (جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)

**أ.د. عبد الوهاب فرحات** (جامعة الملك خالد - أبها - السعودية)

**أ.د. عز الدين بن زغيبة** (كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي)

**أ.د. محماد بن محمد رفيع** (جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المملكة المغربية)

**أ.د. محمد أحمد حسن القضاة** (عميد كلية الشريعة سابقا-الجامعة الأردنية)

**أ.د. محمد علي سميران** (نائب رئيس جامعة آل البيت - المفرق - الأردن)

**أ.د. يوسف إبراهيم يوسف** (مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر)

# المحتويات

مجلة الشهاب- مجلد: 04- عدد: 02- رمضان 1439 هـ / جوان 2018 م


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| - بين يدي هذا العدد | 08 |
| ● دلالة السياق وأثرها في فقه الخطاب القرآني " دراسة في مقروئية علماء التراث "<br>أ.د. أحمد عرابي (جامعة ابن خلدون - تيارت) | 09 |
| ● بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال " دراسة تأصيلية لسنة الرحمة مع البلاء "<br>نبيلة عايسي ، أ. د عبد الحليم بو زيد (جامعة باتنة 1) | 23 |
| ● ملامح فقه الموازنات عند الإمام مالك رحمه الله.<br>د. يوسف نواسة (المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة. الجزائر) | 49 |
| ● جهود غير المالكية في خدمة موطأ الإمام مالك "علماء الحنفية نموذجا"<br>د. حسين ماني سعادة (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية) | 75 |
| ● الإسقاط بين حكم "الحيض والنفاس" أو "الاستحاضة" - دراسة طبية فقهية<br>د. فريدة زوزو (جامعة الملك فيصل بالأحساء سابقا - السعودية) | 91 |
| ● معالم الاقتصاد التضامني من منظور إسلامي"الزكاة أنموذجا"<br>د. فلة زردومي (جامعة باتنة 1) | 131 |
| ● جدلية التفويض والتأويل بين المرابطين والموحدين "قراءة في المسار التاريخي"<br>د. عبد الرحيم موفق (جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس سايس- المغرب) | 159 |
| ● المعجزة الكونية ودلالتها على الرسالة عند مصطفى صبري<br>محمد عمارة (جامعة باتنة 1- وجامعة الوادي)<br>أ.د. العربي بن الشيخ (جامعة باتنة 1) | 183 |
| ● مسألة الشرور وعلاقتها بالعدل الإلهي في فكر الشيخ محمد متولي الشعراوي<br>أحمد عامر باي (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – وجامعة الوادي) | 205 |
| ● تجديد المنهج في الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي الكتابة الأدبية أنموذجا<br>جمال الأشراف (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – وجامعة الوادي) | 245 |
| ● دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات "دولة المرابطين أنموذجا"<br>محمد العربي ببوش ، د. عبد القادر مهاوات (جامعة الوادي) | 267 |
| ● بيعة الأمير عبد القادر حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية<br>د. عبد القادر سلاماني (جامعة بشار) | 289 |

| | |
|---|---|
| ● **الحارث بن كلدة الثقفي: طبيب العرب في الجاهلية والإسلام** (ت 50هـ/670م)<br>✍ **بلالي العيد** (جامعة باتنة 1- وجامعة الوادي)، **أ. د حميداتو مصطفى** (جامعة الوادي) | 303 |
| ● **مشكلة الأخلاق في العالم الغربي والعالم الإسلامي والنظرة الواقعية الإلهية للوجود**<br>✍ **د. بشير بوساحة** (جامعة الوادي)<br>**إيمان فرطاس** (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية) | 325 |
| ● **المرأة بين القهر والتمرد في مسرح باكثير "جفلدان هانم - سر شهر زاد - الدكتور حازم - الدنيا فوضى" أنموذجا**<br>✍ **د. علي يوسف عثمان عاتي** (جامعة حضرموت - اليمن) | 355 |
| ● **الأمن القانوني والقضائي - علاقة تكامل -**<br>✍ **د. عبد المجيد لخذاري** ، **فطيمة بن جدو** (جامعة خنشلة) | 387 |


● **ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة.**
● **يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.**

# مسألة الشرور وعلاقتها بالعدل الإلهي في فكر الشيخ محمد متولي الشعراوي

بقلم
أحمد عامر باي (*)

## ملخص

يهدف هذا المقال إلى معالجة إشكالية الخير والشر، التي كانت وما تزال محل تجاذب وخلاف واسع بين المفكرين والفلاسفة، وممّن تناول الموضوع بالدراسة الشيخ محمد متولي الشعراوي استجابةً لتحديات عصره، بالوقوف بحزمٍ أمام الشبهات التي تثيرها هذه المسألة، ويستغلها المشككون والملاحدة في حرف الناشئة عن الإيمان بالله تعالى وبعدله ورحمته وكماله، إن وجود الكثير من الشرور العظيمة – في العصر الحديث– ما فتئ يثير لدى المؤمنين وغيرهم تساؤلات عن مصدر وجودها، وعن الفائدة والحكمة المرجوة منها، والسماح بحدوثها في عالم لا يخرج فيه شيء عن إرادة الله تعالى.

ومقالنا هذا يسلط الضوء على مقاربة الشيخ محمد متولي الشعراوي كأحد أبرز العلماء المعاصرين الذين تناولوا المسألة بالبيان والتفصيل، في محاولة لتفكيك هذه العقدة، والإجابة عن التساؤلات المثارة بشأنها، من خلال تحديد مفهوم ومصدر الخير والشر، والوقوف على أهم الحكم والفوائد التي ينالها الإنسان في وجود الشرور.

**الكلمات المفتاحية**: الخير ، الشر، العدل الإلهي، الشعراوي.

---

(*) باحث في مرحلة الدكتوراه بكلية أصول الدين ـ جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ـ الجزائر.
وأستاذ مساعد بمعهد العلوم الإسلامية، وعضو بمخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية. جامعة الوادي ـ الجزائر. beyahmedameur@gmail.com

## المقدمة

يعتبر البحث في مسألة الشرور في الكون بحثا قديما متجددا عبر العصور، وقد كانت ولا تزال الأسئلة المثارة في دائرته محل بحث ونقاش، ذلك أنها من المسائل المتعلقة بجوهر وجود الإنسان، واللازمة لجميع الأحداث في حياته، فلا ينفك أي سلوك أو حدث من الأحداث الكونية؛ من التقييم والتصنيف بين كونه شرا أو خيرا، ثم إن سعادة الإنسان وراحته وطمأنينته كلها متعلقة بما يحصل له ويحققه من خيرٍ، وبما يتجنبه من شر، لذا كانت مسألة الشرور محل اهتمام وسؤال الناس عموما، والباحثين والفلاسفة خصوصا، فقد أجريت دراسة تضمنت سبراً لآراء الناس في أمريكا، كإجابة عن السؤال: لو أتيح لك أن تسأل الله تعالى سؤالا واحدا تعلم أنه سيجيبك عنه، فماذا سيكون سؤالك؟ فكان السؤال الأول والحاصل على النسبة الأكبر، هو: "لماذا هناك ألم ومعاناة في هذا العالم؟"[1]، وقد زاد من حدة السؤال وكثرته في العصر المتأخر ظهور الدواعي والمؤثرات الكثيرة لطرحه في القرن العشرين، تمثلت في الحروب العالمية وما وصل إليه الإنسان من تطور في استعمال الأسلحة الدمار الفتاكة، وما توسع من انتشار للإمراض والأوبئة الخطيرة[2]، وغيرها من صور الشرور التي تحدث لأسباب مختلفة.

ويضاف إلى دواعي البحث والدراسة اعتبار وجود الشر في الكون لدى البعض؛ دليلا مؤسسا لفلسفة الإلحاد وإنكار وجود إله يتسم بالكمال والجمال والعدل، مع وجود هذه الشرور والنقائص، حتى غدت مسألة الشر العقدة الأبرز، وصخرة الإلحاد التي ينكسر عليها الإيمان بوجود الله[3]، إذ لو كان الله موجودا بحسب زعمهم لما كان هناك فرصة لوجود الشر، ولما سمح بوجوده.

ونظرا للأهمية الكبرى لمبحث الشرور وآثاره المعاصرة على فهم الناشئة من الشباب للكون والحياة، وعلى إيمانهم بالله وكمال صفاته، حتى لا يكونوا عرضة للشبهات التي ينقلها الملاحدة عبر كل العصور ولاسيما المعاصرين منهم، وحتى نحصنهم ضد موجة الإلحاد التي تبرز في العالم كلما مَرَّت البشرية أو بعض الشعوب بأزمات ومشاكل كبرى، تجعلهم **يتساءلون عن سبب السماح بوجود هذه الشرور في الكون، وعن الفائدة والضرورة المرجوة**

**من وجوده، وعن حقيقة إمكانية الجمع بين وجود الشرور وثبوت العدالة الإلهية،** مما قد يوصل بعضهم إلى إنكار وجود الخالق، أو إنكار عدالته بدرجة أقل، نظرا لعدم وجود إجابات شافية تشفي ظمأ عقولهم، وتَبُثُّ الطمأنينة في نفوسهم.

وفي هذا المقال نضم جهدنا إلى جهود الباحثين في دراسة مشكلة الشر ومحاولة فهمها، والإجابة عن التساؤلات المطروحة بشأنها؛ حيث نسلط الضوء على جهود علماء المسلمين في الوقت المعاصر في هذا الباب، مركزين على ما تناوله الشيخ محمد متولي الشعراوي لمشكلة الشر، باعتباره أحد أبرز العلماء المعاصرين الذين أولو عناية بالغة بتفسير القرآن ودراسة معانيه، محاولين أن نستخلص نظرته المتكاملة لمسألة الشر من خلال كتاباته الغزيرة، التي تجمع بين الاستفادة من جهود المتقدمين والمتأخرين من أهل التفسير، مع إضافة جهد شخصي بما فتح الله عليه في فهم المعاني العميقة لكتاب الله تعالى.

محاولين الإجابة عن الأسئلة الآتية:

**ما حقيقة الشرور الموجودة في الكون ؟ وما مصدرها وما ضرورة وجودها ؟**

**وما هي الحكمة والفائدة المرجوة منها؟**

**وكيف يمكن فهم وجود الشرور مع ثبوت العدل الإلهي؟**

وللإجابة عن الأسئلة المتفرعة عن مسألة الشرور، لابد من التطرق لجملة من النقاط الأساسية، التي تشكل بمجموعها الإجابة الكاملة:

1- طرح إشكال الشرور وأسبابه.
2- مفهوم الشر والخير.
3- نسبية الخير و الشر.
4- معرفة الخير والشر.
5- ضرورة وجود الشر.
6- مصدر وجود الشرور وأنواعها.
7- فوائد وجود الشرور.

8- وجود الشرور والعدل الإلهي.

9- نتائج تربوية إيمانية.

### 1. طرح إشكال الشرور وأسبابه:

يتعرض الشيخ الشعراوي لمسألة الشرور ابتداء، بطرح الأسئلة التي يطرحها جميع الناس في حياتهم اليومية، حين تلسعهم قرصة الشرور وآلامها المتنوعة، والتي تتنوع بين تعلقها بالسعي البشري أو انفكاكها عنه، حيث يقول: "بعض الناس يتوهم أن الدنيا لم تخلق على الخير.. كيف هذا ؟ ونحن نرى أمامنا صورا كثيرة.. ونرى أُمَمًا غنية، وأُمَمًا فقيرة. نرى من يموت جوعا، ومن يموت من التخمة، ونرى الظلم في الأرض، ونرى من هو أعمى.. ومن هو مشلول لا يستطيع أن يتحرك، ومن يصيبه المرض فيفقده قوته، ونرى الظلم والطغيان بين البشر، ثم أين العدل في طفل يموت جوعا ؟ أو رجل مسن وامرأة عجوز وهم يكابدون الشقاء في الأرض؟ "[4]

ويرجع كثير من الدارسين طرح مسألة الشرور إلى أسباب متعددة، لكن الشيخ الشعراوي يركز على سببين يرى أنهما جماعهما:

1- عدم فهم المعنى الحقيقي للحياة الدنيا، فمن جعل الحياة الدنيا غايته، استند في الحكم على معاني الشر والخير على المقاييس الدنيوية، وبذلك ضلوا الطريق في فهم الحياة وأدوارها، فعاشوا فيها بغير هدى ومنهج صحيح يوصلهم إلى غايتها، واعتبروا أن كل ما يحقق المتعة والنعيم العاجل في الدنيا خير، وما يحقق الشقاء والألم شر، بل إن منهم من ذهب إلى أضيق من ذلك باعتبار المعيار المصلحة الشخصية هو الحكم في تحديد الخير والشر، والمقاييس الشخصية لا يمكن أن تكون معيارا لتحديد الخير والشر لنسبيتها وتغيرها من شخص لآخر، ولاتسامها بالأنانية والنقص والبعد عن الموضوعية، حتى أننا نجد الفعل والحدث ذاته خيراً لفرد وشراً لآخر، فكيف يكون الحدث نفسه خيراً وشراً ؟ مما يظهر أن المقاييس المطبقة في التمييز مختلة، ويجب مراجعتها حتى يتبين لنا الخير والشر الحقيقي[5].

والشعراوي بموقفه هذا يخالف ما تذهب إليه بعض الفلسفات الغربية، باعتبار اللذة هي المعيار في الحكم على الأشياء بالخير والشر دون النظر إلى نتائجه التالية[6]، فكل الآلام وصور

البلاء المختلفة وفق هذا المنطق شرور لا مبرر لها، أما النظرة الإسلامية – بحسب الشعراوي – للحياة الدنيا، فهي دار اختبار وبلاء للإنسان، وأن على الإنسان أن يجابه صعابها بالصبر والرضا، وأن يسير فيها وفق منهج الله حتى يبلغ الغاية المحددة له، ويعلم أن الحياة معبرٌ، فلا يشغله المعبرُ عن الغاية[7].

والحقيقة أن جانبا واسعا من التذمر والاعتراض في مسألة الشرور حاصل بسبب النظرة الغربية لطبيعة الحياة، فحين يعتبر الإنسان أن حياته الدنيا هي المبدأ والمنتهى، يرى خيرها النسبي هو عين الخير الذي لا يجب أن يفوته، ويرى شرورها عين الشر الذي يضجر منه ويفر، ويشعر فيه بالحرج والضيق عند أدنى مصاب، لأنه لا يرى الحكمة والغاية التي يرمي إليها الشر والخير غير ما يحصل منهما في الدنيا الزائلة.

2- أما السبب الثاني الذي يذكره الشيخ الشعراوي فهو محدودية العلم الإنساني، إذ أن كثيرا من الأحداث التي تحيط بنا مما نعتبره شرا، الحُكمُ فيها مؤسس على علم الإنسان القاصر، وعقله المحدود، والذي يعلم بعض الأشياء وتغيب عنه أشياء كثيرة في عالم الشهادة عدا عن عالم الغيب، وهو ما يلمسه الإنسان مما قد يبدوا له خيرا أو شرا ثم يغير موقفه منه؛ نظرا لاكتشاف ما غاب عنه بعد مدة من الزمن، فالإنسان يقتصر عند الانطلاق في قراراته على معطيات الحاضر دونما استحضار لما يخفى عنه في المستقبل[8]، لذلك يخبرنا المولى في القرآن الكريم أن نتبع أحكامه المنبثقة من علمه المطلق، ونترك أحكامنا التي لا تتجاوز حدود علمنا القاصر، وإن بدا لنا في البداية أنها شر نكرهه، فالله تعالى قد يشرع لنا مكروها يأتينا منه الخير، والإنسان قد يبغي شيئا وهو شر له ولا يعلم[9].

والواقع أن غفلة الإنسان وغروره بما حققه من فتوحات علمية، وبما يمتلكه من عقل، ظن أن بإمكانه إدراك مختلف مظاهر الكون والحياة، والوصول إلى أسرارها، حتى قال الفيلسوف الألماني هيجل متحديا: "إنني أستطيع أن أخلق الإنسان لو توفر لي الماء، والمواد الكيميائية، والوقت"[10]، وقال نيتشه في صلافة وعُجب بما حققته البشرية من تقدم علمي: "لقد مات الإله، الآن"[11]، فهذا العقل المغرور هو من ظن أن بإمكانه أن يحكم على كل شيء في الحياة بالصلاح والفساد، وبالحكمة والعبث، حتى أصبح الخطاب العقلاني

الصرف حين يقف عند بعض مظاهر الشرور، التي يعجز عن تفكيكها وتلمس الحكمة من وجودها، يسارع إلى الحكم بعبثيتها، وأن وجودها ظلم وخطأ ينافي وجود الله وعدالته.

والحق أن ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي مستقى من الحقيقة القرآنية التي تنص على أن العقل والعلم البشري يتسم بالمحدودية، قال تعالى:﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[12] ، وقال ﷻ أيضا:﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[13]، وهذا لا ينفي قدرة الإنسان على تلمس الحكمة من وجود بعض الشرور، إلا أنه ينفي تمام القدرة على فهم كل الظواهر الكونية، والأحداث الإنسانية، وإنما يكفيه ما بان له من حكمتها للحكم على ما لم يجد له بياناً وتفسيراً، إذ مصدرهما والقاضي بهما واحد هو الله تعالى.

**2ـ مفهوم الشر والخير:**

يقيم الشيخ الشعراوي مفهومه للشر والخير على أساسين: أحدهما أساس كلي يتعلق بطبيعة الحياة الدنيا، والآخر إجرائي يتعلق بما بثه الله تعالى من سنن في الكون وبما أمر به من تشريع.

**فالأساس الأول:** ينطلق من فهم طبيعة الحياة الدنيا باعتبارها دار اختبار وبلاء من بدايتها إلى نهايتها، وأنها امتحان كبير يبتلى فيه الإنسان بالخير والشر معا، لقوله ﷻ: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[14]، فمن نجح فله الجنة، ومن اتبع شهواته وطريق المعاصي دخل النار[15]؛ وكل من الخير والشر – النسبي- المبتلى بهما في هذه الدار، ليس إلا وسيلة اختبار، والخير والشر الحقيقي يتحدد بالقياس بما يؤديان إليه من مصير أخروي[16].

فالمقاييس الدنيوية كلها مقاييس لا تصلح للحكم على الخير والشر، ذلك أن الحياة كلها وسيلة إلى الحياة الحقيقة التي يجب أن يسعى الإنسان إليها، والإعداد لها بكل جهد، قال تعالى:﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[17]، إن الحياة الدنيا محدودة قصيرة منتهية، أما الحياة في الدار الآخرة هي حياة أبدية ونعيمها وجحيمها لا يزول، فأي المقاييس أكثر أهمية ووزنا في اعتبار الخير والشر؛ لاشك أن الخير هو ما يقود إلى الحياة الباقية والنعيم العظيم الباقي، والشر ما يقود إلى العذاب الدائم[18].

والخلل يحدث في فهم معنى الشر والخير بحسب ما يحدد من الأهداف، فمن كان هدفه

وغايته الدنيا، كانت كل لذة فيها خير عنده، وكل بلاء وألم شرا، فهو يسعى بكل ما أوتي لتحصيل مشتهياته فيها، أما من كان هدفه الآخرة، فقلبه معلق بالنعيم الدائم في الجنة، ويرى في كل الأسباب الموصلة إليها خيرا، وكل العوائق المبعدة عنها والمدخلة إلى النار شرا[19].

**أما الأساس الثاني:** فيبين أن المقاييس التي من خلالها نحدد مفهوم الشر والخير لا يمكن أن نصل إليها نحن البشر بفهمنا وعلمنا المحدود، وبالتالي فالميزان الذي يحدد طبيعة الأشياء هو ميزان من وضع إلهي، حيث يجتمع العلم والإرادة والقدرة المطلقة، فما وضعه الله من ميزان الجمال الدقيق؛ المنظم لحركة الحياة، هو المقياس الحقيقي لتحديد الخير والشر في الدنيا، فحين يؤدي كل مخلوق في الوجود مهمته في الحياة ويكون منسجما مع المنهج الرباني، فإن كل النتائج ستؤدي إلى الخير، أما إذا عطل البشر قوانين الحياة وسننها؛ فإن الحياة ستفسد لا محالة، وينتج عن ذلك الاختيار الشر والشقاء[20].

وكل ما يحيط بالإنسان في الدنيا وما يقع تحت يديه إن أخضعه لمنهج الله كان عليه خيرا، وإن أخرجه عن منهجه كان شرا، فالمال مثلا ليس خيرا في ذاته، فمن وجّهه للخير الذي أمر الله به، كإعانة الفقير والمسكين واليتيم وفي الصالح من الأعمال، وكان شاكرا لنعمة الله كان له خيرا، ومن أسرف وبذر في إنفاقه أو أنفقه في وجوه الباطل، كان عليه وزرا وشرا، ويقال مثل ذلك في كل ما يتفضل الله به على المؤمن من البلاء والعطاء[21].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي: "هذه هي المقاييس الحقيقية للخير والشر.. إنها المقاييس التي وضعها الله سبحانه وتعالى.. ولكن الإنسان أساء بالاختيار الذي منحه الله له في الكون، فبدل من أن يأخذ مقاييس من خلقه وأوجده، حاول أن يضع هو المقاييس لنفسه"[22].

ويقسم الشيخ الشر والخير إلى قسمين:

### 2-1- الشر والخير الإجرائي (الوسيلة):

إن الشر والخير يتحدد باعتباره وسيلة العبد إلى غايته الكبرى التي حددتها له الشريعة، فكل عمل صالح موافق للشريعة، ويقصد به وجه الله تعالى؛ يجعل الإنسان منسجما مع الكون الذي خلق فيه، ويبلغه الخير الحقيقي، فهو خير باعتباره مؤديا للنعيم الأبدي للإنسان، وكل عمل سيئ مخالف للشريعة، وبعيدا عن إرادة الله التشريعية، يحدث إفسادا في

الكون والحياة؛ يعتبر شرا لأنه سيؤدي إلى الشر الحقيقي وهو العقاب الإلهي الذي توعد به المفسدين في الأرض[23].

فكل ما قد يظهر للإنسان على أنه خير لأنه يحقق لذة أو يشبع شهوة، وهو يؤدي إلى العذاب في الآخرة فهو شر، وكل ما يظهر على أنه مشقة وألم في الدنيا وهو مؤدي إلى حصول النعيم الأبدي فهو خير[24]، فالشر والخير في الدنيا هو ما حدد الشرع، وبعابرة أخرى؛ الخير أن يجعل الإنسان مراده في الحياة موافقا لمراد الله تعالى، والشر أن يخالف الإنسان مراد الله تعالى[25].

### 2-2- الشر والخير الحقيقي (الغاية):

يرى الشعراوي أن الخير هو ما يأتي لك بالنفع[26]، والشر هو كل ما يتصادم مع ما تريده النفس، فكل ما تشتهيه ولا يتحقق تعتبره شرا[27]، وكل منهما يتحدد وفق الهدف والغاية المرجوة، لكن أي نفع وأي غاية يبتغيها الإنسان، هل الحياة الفانية أم الحياة الباقية، ولأن المؤمن موقن بأن الحياة دار بلاء، وهي مُؤَقَتَةٌ تتبعها دار خلود دائمة، فإن غاية الأعمال النهائية هي المحددة لما هو خير أو شر حقيقي ليس بعده خير أو شر، وبتعبير الشعراوي فالخير: "هو ما يوصلك لغاية ليس بَعْدَها بَعْدُ... وهو النعيم الأبدي في الجنة"[28]، أي ليس بعدها غاية نافعة ترجوها، فالخير الحقيقي هو النعيم الأبدي في الجنة، والشر الحقيقي هو العذاب الأبدي في النار[29].

إذن هناك خير وشر في مقام الوسيلة بينه الشرع، وهناك خير وشر حقيقي، تقود إليهما الوسيلة – وهو مدى التزام الإنسان بالشريعة في الحياة- أي أن لكل حياة ودار؛ خيرٌ وشرٌ يليق بمقامها وطبيعتها، والمقصد من وجودها.

ومما يزيد في فهمنا الأعمق للشرور بيان نسبيتهما في الحياة الدنيا، وهو ما لم يغفله الشيخ الشعراوي، مما سنتعرض له بالبيان فيما هو آتي.

### 3ـ نسبية الخير و الشر:

ينبه الشيخ الشعراوي في كتاباته على أن الشر والخير في الدنيا نسبي، إذا ما روعي المقياس الحقيقي المتعلق بالمصير الأخروي في الحياة الحقيقة الدائمة، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة

كعادته في تبليغ وتبسيط المعاني للناس؛ فلو أن شخصا سرق مالاً ثم ساعد به محتاجا، أينقلب شره خيرا، ولو أن شخصا دافع عن مظلوم فأصابه مكروه بسبب ذلك، أينقلب عمله الحسن إلى عمل قبيح؛ كلا، فكل خير نسبي في الدنيا ونعمة تؤدي إلى العذاب في الآخرة والنار فهي شر في حقيقتها، وكل شر نسبي يؤدي إلى الثواب والجنان فهو خير في حقيقته، فالمعيار الحقيقي للقياس هو معيار النتيجة الأخروية، وليس هناك حكمٌ مطلق للأشياء من حيث كونها خيرا أو شرا [30].

فالشر والخير في دار الاختبار يعتبران وسيلة ابتلاء، لا يحكم عليهما بالحسن أو القبح إلا بمقدار ما يؤديان إلى نتيجة أخروية، فقد يظن البعض أن الله تعالى حين يوسع على عبد رزقه، فذلك يعني أنه محل رضاه وكرمه، أما من منعه المال وانقص من سعته بالمقارنة بغيره، فذلك دلالة على غضب الله والإهانة للعبد، لكن الحقيقة أن الله تعالى يبين في كتابه العزيز بوضوح أن الخير والشر كلاهما وسيلة اختبار لا تمتدح ولا تذم لذاتها، قال تعالى:﴿ **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ، كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾[31]، فالابتلاء ليس إلا امتحانا، قال تعالى:﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[32]، أي أن الابتلاء الذي نتيجته النجاح في الآخرة؛ خير، والذي نتيجته الخسران والرسوب؛ شرٌ[33].

**مثال: المال كوسيلة محايدة:**

ينبه الشيخ الشعراوي إلى أن البعض قد يرى خطأ أن الخير محصور في المال وحده، وأن من ملك مالا وافرا فقد حاز الخير، لكن الحقيقة أن المال وسيلة لا تتضمن الخير والشر إلا بما تقود إليه وما يتحقق من إنفاقه[34]، فمن كان المال سبيلا لفعل الخير ومساعدة المحتاجين والإنفاق على الأهل والأقارب ممن تجب إعالتهم...؛ فهو نعمة عظيمة وخير واسع يحقق الصلاح والنفع في الدنيا والآخرة، أما أذا كان المال مكتنزا أو من مصدر حرام وينفق في الحرام فحينها يكون المال نقمة ووبالا على صاحبه، وقائدا له إلى شرور الدنيا وعقاب الآخرة[35].

بل إن المال في جانب آخر قد يكون عقابا من الله لصاحبه، ونقمة عليه في الدنيا والآخرة،

فالله يعطي المال للمؤمن والكافر، فلا يعجب الإنسان أن يجد الجاحدين والظالمين وقد وُسِّعَ لهم في الرزق، فقد ينعم الله عليهم ليزدادوا إثما وكفرا، إذ لو منع عليهم النعمة فقد يفيقون ويتوبون، ولأنهم استحقوا غضب الله فإنه يمدهم بأسباب الدنيا حتى يظلوا في غفلتهم، قال تعالى:﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[36]، وفي هذه الآية تنبيه للمؤمنين أن لا يعتبروا المال والولد دليل الرضا والخير من الله تعالى، وأن لا تكون النعم سببا في العجب والطغيان والغفلة عن الله تعالى، وأن العبرة فيما أوتي الإنسان؛ بكيفية استثمار تلك النعمة في تحقيق مراد الله وبلوغ رضوانه[37].

إن من اتخذ المال والنعم المختلفة إلها يعبدُ من دون الله، حيث يأتمر بأمره ويسهر على اكتنازه والحصول عليه بأي وسيلة؛ ينال جزاءه العاجل في الدنيا قبل الآخرة، فتجده فاقدا للأمان والطمأنينة فهو في خوف وهلع دائم، خشية الفقر وزوال النعم، فَيُقَتِّرُ على من يعول، وينفق على أصحاب النفوذ والسلطان حتى يُؤَمِّن ماله من الاعتداء والطمع، فيحرم نفسه وينفق في وجوه الباطل، يعذب نفسه في التعب والهم والكد للحصول عليه بأي وسيلة، ثم لا ينتفع به، كحامل الجرار من الماء وهو عطشان، ثم يحمل وزره في الآخرة ولا ينتفع به في الدنيا، وأخطر ما يقود إليه حب المال -مع ما ذكرنا – أن يلهي صاحبه عن الإيمان بالله وعن قبول منهجه، والخضوع والاستسلام لإرادته التشريعية، فيكون المال والنعم المختلفة لونا من الاستدراج للبقاء على الغفلة المهلكة له في آخرته[38].

وقول الشيخ بنسبية الشرور ليس نفيا لوجود الخير والشر في الحياة الدنيا، لكن المقصود هنا هو تلك الأحوال والمعطيات التي قد تتوفر للإنسان، والتي قد تعتبر خيرا وشرا بحسب تعامله وسلوكه تجاهها، وفيما هو أتي نبين مصدر معرفة الخير والشر عند الشيخ الشعراوي، حيث يؤكد أن في الحياة الدنيا أيضا خيرا وشرا بينته الشريعة، وأظهرت الحكم بحسن الأشياء وقبحها، وهو وسيلة للخير والشر الحقيقي في الدار الآخرة.

### 4- معرفة الخير والشر:

يذهب الشيخ الشعراوي إلى أن معرفة الخير والشر من الله تعالى، فالله -عز وجل- بعدله وكماله لم يدع الإنسان تائها حيرانا منذ اللحظة الأولى التي أوجده فيها على الأرض، حيث

أرشده إلى ما هو خير وشر في دنياه وآخرته، قال تعالى:﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[39]، والهدى في الآية هو الدلالة على الخير، والطريق الموصل إليه؛ ثم بيّن سبحانه وتعالى للإنسان تبعات اختياره، وأنه إن ارتضى الخير وسلك سبيل الإيمان، فلن يناله أي خوف مما يتوقعه من الشرور، أو حزن على ما قد يفوته من مرغوب، فالخير كله في إتباع منهج الله تعالى[40].

فالخير شامل لكل الأوامر والنواهي في التكليف الشرعي والشر ما خالفه، فوحي الله ومنهجه ونبوة رسول ﷺ هي جماع الخير[41]، والشريعة هي المنهج الذي ينظم حركة الإنسان في الحياة ، تنظيما يتعاون فيه ويتساند مع السنن الكونية[42]، فكل حركة في ينسجم الإنسان فيها مع الكون، هي حركة خيرة وحسنة، وكل حركة تفسد انسجامه مع الكون وسننه هي حركة معاندة سيئة بعيدة عن الهدي الإلهي[43].

والشيخ الشعراوي في موقفه هذا لم يخرج على موقف الأشاعرة، القائل بأن الخير والشر ما حدده الشرع، وأن الإنسان لا يستطيع بعقله أن يحدد الخير والشر، وأنه لا غنى له عن الوحي وإرسال الرسل حتى يتم التكليف الشرعي، ويترتب على فعله الثواب والعقاب[44].

والمسألة واسعة التفصيل في علم الكلام الإسلامي، بحثت تحت مسمى التحسين والتقبيح، وقد تجاذبتها المدارس الكلامية بين من يرى للعقل القدرة على معرفة الخير والشر استقلالا، دون حاجة للوحي كما تذهب إليه المعتزلة والشيعة، وبين من يرى أن لا استغناء للإنسان في معرفتهما عن الهدي الإلهي كما هو عليه مذهب الأشاعرة.

### 5ـ ضرورة وجود الشر:

يطرح كثير من الناس –خاصة من مسه جانب من الشرور والأزمات– سؤال منطقيا عن ضرورة وجود الشرور، وما لزوم وجود الشر في الكون ؟

وعلى فرض وجوده فلماذا لا يمنع الله تأثيره على العباد ؟

يبين الشيخ الشعراوي أن وجود الشر ضرورة من حيث أنه الصورة المقابلة للإيمان، فلولا وجود الشر لما كان هناك ضرورة للإيمان، والإيمان جاء ليهيمن على حياة الناس ويقودها للخير، وما دام الإيمان موجودا فإن الكفر أيضا موجود، وما دام الاختيار الإنساني موجودا

فإن من الناس من يؤمن طواعية واستسلاما لخالقه، ومنهم من يختار طريق الكفر والاستكبار عن العبودية، وهذا الصنف المستفيد من الكفر والطغيان يعلم أن الإيمان إذا جاء لن يدعه يحقق مآربه على حساب الغير، فالظلم باغتصاب حقوق الغير وغيرها مما يحقق شهوات النفس وأهوائها يتعارض مع أحكام الشريعة، ومن ثمة فإن الكافر سيجابه الإيمان ويحاربه، وعلى المؤمن أن يكون ثابتا على نهج ربه ويقي نفسه ومجتمعه وعالمه من الشرور ولو تطلب الأمر مجابهة المعتدين من الظلمة أو الكفرة[45].

إن وجود الشر هو ما يعطي معنى وحلاوة للخير، ولولا وجود الشر الذي يتضرر منه الناس ويفزعهم، لما علموا قيمة وحلاوة الخير والفضيلة، ولما انتصروا لها وثبتوا عليها، ولما عرفوا ضرورة أن يتأصل الحق في الوجود، إذ لو كان هناك رتابة في الدنيا لترك أهل الحق الخير والتمسك به، فيكون الشر سببا في خدمة الثبات على اليقين والإيمان[46].

والشعراوي في هذا يؤكد أقوال من سبقه من العلماء، فالإمام أبو حامد الغزالي في "الإحياء"، والإمام ابن القيم في "شفاء العليل"، يريان بأن الإنسان لن يستطيع استيعاب معنى الخير لو لم يكن في الوجود شر، فلولا الليل لما عرف النهار، ولولا المرض لما عرفنا الصحة، ولو الكذب لما كان للصدق قيمة أو معنى، ولن نتذوق ونستوعب اللذة والسعادة ما لم نعرف الألم والعذاب[47].

فوجود الشر لا ينفك عن وجود الخير، وليس الخير إلا ابتعادا عن الشرور وتجنبا لها، وليس الشر إلا بعدا عن الخير وسُبُله، وكل قيام بالواجب أو اعتدال وتوسط في العمل خير، وأي إفراط أو تفريط شر، فالخير والشر لا ينفكان، ووجودها ضروري لازم للوجود الإنساني.

**6ـ مصدر وجود الشرور وأنواعها:**

إن كل ما يحدث في الكون من خير وشر لا يحدث إلا بإرادة الله تعالى، ولا يمكن أن يكون هناك فاعل في الكون غير الله ﷻ سواء تعلق الأمر بما يجري في الكون أو بفعل الإنسان الذي هو منحة من الله ﷻ لعباده، وهو من سمح للإنسان بالاختيار في فعله بين الخير والشر[48].

وقد قسم الشيخ الشعراوي الوقائع الحادثة في الكون والمتضمنة لمختلف أشكال الشرور - بحسب معيار تأثير الاختيار الإنساني في الأحداث- إلى أحداث لا اختيار في وقوعها، وأحداث تقع من غيرك عليك، وأحداث لك فيها اختيار[49]، وهو تقسيم يراعي اعتبار مسؤولية الإنسان في حدوث تلك الشرور، ونجمل تلك الأصناف، في شرور لا مسؤولية للإنسان في حدوثها له، وشرور أخرى السبب في حدوثها اختيار الإنسان وكسبه.

### 6-1- الشرور الكونية:

وهي الأحداث التي تقع على الإنسان، دون أي اختيار له فيها أو تسبيب؛ حيث

تصنف ضمن أقدار الله الكونية، كالزلازل والبراكين وبعض الأمراض المعدية والفتاكة، والتشوهات الخلقية التي يولد بها الإنسان، وفقد بعض الحواس وغيرها، مما لا تأثير للإنسان في حدوثه[50].

ويمكن أن يلحق بها الصنف الثاني من الأحداث التي تقع للإنسان بسبب الغير، حيث لا يكون هو السبب فيما حدث له من شرور وبلايا، كأن يصدم أحدهم شخصا في الرصيف بسيارته، أو أن يولد المولود وهو مريض بسبب مرض والديه، أو أن يعتدي سارق على أحد فيسبب له فقد حاسة أو بتر عضو ، وغيرها من ألوان الشرور التي يحدثها الإنسان للغير[51].

والشرور الكونية مجال تساؤل واستغراب من الإنسان بشكل دائم، حيث يتساءل الإنسان دائما عن الضرورة والفائدة والحكمة من حدوثها، لماذا هي موجودة أصلا ؟ وكيف يصدر عن الإله الكامل الرحيم هذه الشرور ؟ أليس في الإمكان إيجاد كون خالٍ من الشرور؟ وإن كان لوجودها ضرورة فما الفوائد والحكم منها ؟

يجيب الشيخ الشعراوي عن هذه الأسئلة بما أكده القرآن الكريم، أن ما يصدر عن الخالق الرحيم ﷻ من الأقدار التي تحدث في الكون- بما في ذلك ما يظهر لنا من الأحداث على أنها شرور ومصائب- والتي لا تسبيب فيها للإنسان هي خير وإن جهلنا أمرها، فالله تعالى خلقنا وسخر لنا السموات والأرض وكرمنا على كثير من خلقه، ويريد لنا -في الوجود كله- الخير التام[52]، قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[53]، فالله تعالى بيده الخير في كل أمره

التكويني ، فهو من يعطي الملك أو المال أو الجاه وهو من ينزعه، وكل ذلك منه خير، فلله تعالى العلم الكامل، المتضمن للأحداث الدنيوية ومآلاتها بالنسبة للإنسان، ونتائجها على مصيره في الآخرة، فالأحداث في علم الله تعالى مكتملة ومترابطة، فمن عمل صالحا بما وهبه من نعم أو فيما تعرض له من بلاء فمصيره الجنان، ومن عملا سوءا يجزى به، والله تعالى قد ينزع من الإنسان نعمة ويكون في ذلك خيره، وقد يبتليه بالشر والمصيبة ويكون له فيها خير، فالعبرة بالمآلات –في الدار الآخرة– التي تمثل المصير الخالد للإنسان[54].

قال الشيخ الشعراوي:" إن الأشياء التي ليس لك دخل فيها، ولا تقع بإرادتك، ولا تحدث باختيارك هي قضاء الله الذي يريده في كونه، وقضاء الله سبحانه وتعالى دائما خير، مهما بدا لنا في نظرتنا الضيقة.. وعلمنا المحدود أنه شر، كل ما يأتي من الله خير، ولكن الذي يجعل الصدر يضيق، والصبر لا يحتمل.. هو أننا لا نرى الصورة كاملة أمامنا"[55]، وقد أعطانا الله تعالى مثلا في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، والأحداث التي وقعت فيها، حيث كانت الأحداث تظهر لموسى عليه السلام أنها شر لا مراء فيه، لكن العبد الصالح كان يرجئه، حتى بين له في النهاية ما خفي عنه من علم بالسبب وراء كل عمل، وحينها علم موسى صلاح ما كان يظنه فسادا، وخيرية ما كان يظنه شرا[56].

فكل ما يبدو لنا على سطح الأحداث من ظواهر، لا نستطيع أن نحكم عليها حتى تتضح الصورة كاملة حولها، وحتى نحيط علما بكل حيثياتها، ولأن علم الإنسان قليل مهما تطور وتوسع، فإنه يعلم أشياء ويغيب عنه أكثرها، قال تعالى:﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[57]، لذا ينبهنا المولى عز وجل في آيات كثيرة في القرآن الكريم أننا لا نستطيع أن نشكل حكما نهائيا على الأشياء بالحسن أو القبح، قال تعالى:﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[58]، أي أننا قد نعتقد أن أمرا ما شر ومصيبة مع أنه في حقيقته خير أراد الله أن يسوقه إلينا، وأحيانا نعتقد أن أمرا هو خير لنا فنسعى إليه ونسعد بحصوله، لكن الحقيقة أنه شر لنا ونحن لا نعلم، فالإنسان لا يستطيع أن يحكم بشكل قاطع حول طبيعة الخير والشر في الأحداث، فعلمه محدود وقدرته محدودة وكل صفاته محدودة عن الإحاطة الكلية بالأقدار[59].

ويدلل الشيخ الشعراوي على خيرية الأقدار الكونية التي لا تأثير للإنسان فيها بأمرين:

❑ الأول: أن تلك الشرور يتبعها في أحايين كثيرة فوائد وحكم تالية لها[60]، فكم من وقائع تحدث يستنكرها الناس ويستعظمون شرها وألمها، وبعد مرور الزمن يتبين لهم أن ما حدث كان خيرا كبيرا، وأنه لولا حدوث ما كرهوه في لحظتها، لما كان هناك سبيل لتحصيل هذه الخيرات والفوائد.

❑ الثاني: إن كثيرا من الأحداث في الكون تحمل في طياتها الخير العظيم، لكن يصاحب حدوثها أو يتبعه شر جزئي متعلق به ولا ينفك عنه، فالنظرة المقسطة أن يرى الإنسان الحدث على أنه خير لأن الشر الحاصل معه شر جزئي بالمقارنة بخيره الواسع الذي يتبعه، والضجر من أي شر ولو كان ضئيلا في مقابلة خير كبير ليس من الإنصاف في شيء، وهو ما حدث مع المنافقين الذين أخبر عنهم القرآن ،حيث لم يستقبلوا نعمة الله على حقيقتها، ولم يصبروا على كبح شهواتهم في التكليف -ما فيه من مشقة ضمن الاستطاعة- الذي يصاحبه صلاح الدنيا وسعادتها، ونعيم الآخرة الدائم[61].

فالشر الجزئي الذي يكون سببا في حصول خيرٍ وحكمٍ وفوائدَ عظيمةٍ تالية له، هو في حقيقته خيرٌ، لأنه يقود إلى خيرٍ عظيم دائم يفوقه أضعافا مضاعفة.

وقد بين هذا المعنى وأكد عليه الإمام الغزالي في "المقصد الأسنى" بقوله: " فإن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا بل كان خيرا والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنه الخير الجزيل وهو سلامة البدن ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ولكان الشر أعظم وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير ... قال الله ﷻ سبقت رحمتي غضبي فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته للخير، والخير بإرادته ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير، فالخير مقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض وكل بقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلا"[62].

وقد تناول الشيخ الشعراوي في هذا الإطار أمثلة كثيرة متناثرة في كتبه يبين فيها هذه

الحقيقة، ولأهمية موضوع الشرور وأثره على إيمان الناس وثباتهم ورضا قلوبهم، فإننا نقف عند أغلبها بالبيان الخاص لكل شبهة، ونبين بعض الحكم والفوائد التي دلت النصوص وفهم العلماء عليها:

**6-1-1-عدم وجود كفاية الرزق والتوزيع العادل:**

يتحدث بعض الناس عن الشح في الرزق في الأرض كلون من ألوان الشرور، حيث نجد الجوع والعطش وانتشار المجاعات، وعدم التوزيع العادل للخيرات المتنوعة في الأرض، حيث نجد بعض الشعوب تنعم بالفائض إلى درجة التخمة، وشعوب أخرى تعاني العوز والفقر ولا تجد ما يسد رمقها.

يظهر الشعراوي أن هذه الشبهة باطلة، فالحقيقة أن الله تعالى أودع في الكون ما يكفي جميع خلقه من الماء والغذاء وكل ما يحتاجونه لقيام حياتهم، منذ خلقهم إلى آخر حياتهم، ومن لحظة خلق الكون إلى يوم القيامة[63]، قال تعالى:﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**﴾[64]، إلا أن الخلل يوقعه الإنسان بسوء توزيعه، لا بسبب نقص الغذاء، ولو أن الإنسان انقاد في تعامله لشرع الله لما وجد على ظهر الأرض جائع ولا محتاج[65].

إن الإنسان بإتباعه لشهواته وهواه؛ هو السبب الرئيسي في حدوث الفقر وشيوع الحاجة، وذلك بما يحدثه من تبذير وإسراف واكتناز للمال أو احتكار للسلع، وترجيح كفة الربح على كفة نفع الخلق، حتى أصبحت الدول الغنية عنوانا للفساد الواسع، برمي الزائد عن حاجاتها في البحر أو إتلافه كي تحافظ على ارتفاع الأسعار، وفي العالم ملايين الناس تعاني من الجوع والحاجة، وانتشار الأمراض والأوبئة[66].

إن هذه النعم منحة من الله لعباده، وليست إنتاجا من الإنسان، فالله هو من يمنحنا الرزق في الزرع والأنعام، وفيما نستخرجه من طاقات الأرض، لكن الإنسان بظلمه يمنع ما ليس له، عن العباد الذين كفاهم الله رزقهم في الأرض، فبدل أن تنتفع الدول والأفراد بنعمة الله على قدر حاجتها، ويرسلوا الزائد عن الحاجة للدول الفقيرة، يلقونها في البحر أو يتلفونها؛ هذا هو الإفساد في الأرض بعينه الذي نهت عنه الشريعة وحذرت منه ومن عواقبه

على الإنسان في الدنيا والآخرة[67].

ومن الشرور –في هذا الصنف– ما يصدر بسبب قعود الإنسان عن الأخذ بالأسباب، أو توجيهها الوجهة الخاطئة، فنجد الدول والأفراد يمتلكون الأراضي الواسعة الصالحة للزراعة وتربية الحيوانات المختلفة، وبدل التوجه إلى عمارتها والاستثمار فيها حتى توفر احتياجاتها؛ تتجه إلى الانشغال بالحروب وإثارة الفتن وتغيير الأنظمة والصراع على السلطة حتى ينتشر بدل العمران خرابا، وبدل الكفاية والاستقرار والأمن؛ الحاجة والفقر والخوف، واضح إذن أن الإنسان في سعيه بعيدا عن المنهج الإلهي هو مصدر الشرور بما يسببه من الظلم والفساد في الكون[68].

**6-1-2-وجود الأمراض والآلام:**

يتساءل البعض عن الحكمة والفائدة من وجود الأمراض والآلام التي تصيب الإنسان، وهل لوجود هذه الشرور ضرورة ؟

والحقيقة التي يؤكدها الشعراوي أن الشرور والبلايا والأمراض لفتة من الله لمن يحبه حتى يزيح عنه حجب الغفلة، ذلك أن الإنسان إذا استغنى أصابه الغرور بما متعه الله به من الصحة والمال والولد والجاه وغيرها، فيكون البلاء بالنقص والعجز سببا للتذكير والرجوع إلى دائرة الذكر والحمد والرجوع لله رب العالمين[69].

وتكون كذلك سببا في لفت انتباه الجبارين في الأرض، إلى أن الله قادر عليهم بتسليط أضعف مخلوقاته –التي لا ترى حتى بالعين المجردة– والتي يمكنها أن تسلبهم الحركة والتمتع بأبسط اللذائذ، وتذيقهم صنوفا متعددة من الآلام، حتى يعرفوا أن القدرة والعزة الحقيقية لله تعالى وحده، ويعدوا إلى ربهم خاضعين عابدين قبل فوات الأوان[70].

**6-1-3-وجود العاهات والتشوهات الخلقية:**

يعتقد بعض الناس أن هذه الأصناف من الشرور ؛ شرور خالصة، فما يرونه من تشوهات وعاهات خلقية يولد بها الأطفال، أو ما يصيب الإنسان من غياب لبعض الحواس والأطراف، تجعلهم يتساءلون عن الحكمة والفائدة من وجودها.

والشعراوي يرى في هذه الجزئية أن مقادير الله تعالى اقتضت أن يصاب القليل جدا من الناس بفقد لحاسة والإصابة بمرض مزمن أو تشوه في الخلق وفق حكمة إلهية غيبية لا ندرك كنهها، بسبب قصور الإنسان عن الإحاطة والعلم بكل شيء، ومع ذلك فالذي يمكن استنباطه أن لهذه الأحداث في الكون ومثيلاتها حكمتين هما:

**الحكمة الأولى:** هي أن يرى الإنسان نعم الله تعالى عليه فيمن ابتلاه بفقدها، فإذا رأيت عاجزا عن الحركة أو كفيفا عن النظر أو أصم فاقدا للسمع، تذكرت نعمة الله عليك فتشكرها، ويلهج لسانك بالحمد أن عافاك مما ابتلى به عددا من خلقه، ويستشعر الإنسان مسؤوليته عن المعصية التي قد يكون مقارفا لها بتلك الحاسة أو الجارحة، فيقبل على التوبة ويؤدي أسباب بقائها، أما إذا لم يرى الإنسان غياب تلك النعم عن غيره ظن أنها نعم دائمة، ونسي بطول العهد قيمتها وفضل الله بمنها عليه، فينسى حمد الله وشكره، وتكون النعمة سببا في غفلته عن ربه[71].

**الحكمة الثانية:** أن الله تعالى يريد أن يلفتنا بغياب بعض النعم على عباده، إلى معرفة أن كل عضو في أجسادنا لا يعمل بقدرتنا الذاتية، ولكنه يعمل بتسخير من الله وتمكين منه لكي يعمل ويستفيد منه الإنسان، فالإنسان يقول غافلا: أنا أبصر بعيني، فأوجد الله لنا نماذج من الناس تمتلك آلة العين لكنها لا تبصر، حتى يعلم الإنسان أنه يبصر بقدرة الله الذي منح العين خاصية الإبصار، وقل مثل ذلك في جميع الحواس والجوارح التي منحها الله للإنسان[72].

**الحكمة الثالثة:** إن الله تعالى خلق عالما علويا –السموات وما حوت من مجرات ونجوم وكواكب– برزت فيه قدرته على الخلق الدقيق، وعالما سفليا في الأرض تبرز فيه كذلك دقة الخلق، مع فسح المجال لحدوث المتغيرات والاستثناءات القليلة كوجود العجزة والمعاقين وغيرهم، حتى يبرز في الخلق آثار صفات الخالق ، من دقة في الخلق مع الإطلاق في القدرة، فلله الأمر جميعا، يخلق ما يشاء ويختار[73].

والسؤال الذي يطرح تلقائيا عند تقديم حِكَمٍ وفوائد تحصل للغير بسبب إصابة غيرهم، هو: ما الفائدة والحكمة من حصول شرور للبعض كي يقطف ثمارها غيرهم؟ ألا يصنف

هذا في دائرة الظلم الذي يتنزه عنه المولى ﷻ ؟

يبين لنا الشيخ الشعراوي أن الله بعدله يعوض من كان نصيبهم من البلاء من هذا الصنف التعويض الكامل والعظيم في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا يمنحهم الله مواهب عظيمة تجعلهم متساوين مع الأصحاء ويفوقونهم في ميزات كثيرة، ويفتح الله لهم في قلوب خلقه بحيث يكونون موضع رعاية وعناية وتعاون الناس معهم في كل شؤونهم، فيكونون بما عوضهم الله قادرين مثل غيرهم على التميز وتحقيق الكثير مما يعجز عنه الأصحاء[74].

أما في الآخرة فيكون لهم من الله التعويض العادل على صبرهم على البلاء، ورضاهم بالقضاء، فكل بلاء يقابله الصبر والنجاح في الاختبار الدنيوي، يكون له الجزاء العظيم في الآخرة[75].

### 6-1-4- عدم استجابة الدعاء:

يقول البعض إني دعوت الله كثيرا في تحقيق مرغوب أو مطلوب ولم يستجب الله دعائي، حتى أن بعضهم ييأس من الاستجابة.

ينبه الشعراوي في توضيح هذه المسألة إلى الحقيقة التي يجهلها كثير من الناس، وهي أن الاستجابة من الله تعالى خير وعطاء ورحمة، وعدم الاستجابة -أيضا- خير وعطاء ورحمة، ذلك أن الإنسان يرنو حصول الخير له بما يدعو ولا يدري لعل ما يدعو لحصوله هو ضرر كبير له، قال تعالى:﴿ **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾[76]، فالإنسان حين يدعو لحصول شيء؛ يدعو بعلمه المحدود، وبالقياس إلى الزمن الذي يعيش فيه، لكنه قياس خاطئ، فالأحداث التالية التي يطويها المستقبل، قد تحيل ذلك المرجو من الخير إلى شر، وقد تحيل ذلك المرجو دفعه من الشر إلى خير، لكن الإنسان المحدود في علمه لا يرى الصورة الكاملة للأحداث، ويستعجل في الطلب، حتى إذا مر الزمن وتبين له ما غاب عنه؛ حمد الله تعالى على عدم الاستجابة، وتبين له أن العطاء الإلهي في عدم الاستجابة لا في تحقيقها[77].

والإنسان بقصور علمه يدعو بما هو خير وشر، وهو يظن أن دعاءه كله خير، والاستجابة كلها خير، ولو استجاب الله جميع دعائه لأجابه لشروره فيكون من النادمين، والأفضل للإنسان أن يثق في قضاء ربه وما يقضي له، ويدع العليم الرحيم يقرر أمر استجابة دعائه، فالله بكماله لا يريد للإنسان إلا الخير، وهو تعالى يصحح للإنسان بعض تصرفاته الاختيارية لما يحقق الخير له في الدارين[78].

**6-1-5- وجود الحيوانات الضارة للإنسان:**

يقول البعض لماذا أوجد الله الخنزير وحرم أكله؟ ولماذا أوجد الحيوانات المفترسة والسامة كالعقارب والثعابين التي تتسبب في هلاك البشر؟

والحقيقة التي يبينها الشعراوي؛ أن تحريم أكل شيء لا يدل على كون وجوده شرا، إذ لكل مخلوق مهمة يؤديها وحكمة ناتجة عن وجوده ويرمي إلى تحقيقها، علمها الإنسان أم جهلها، وذلك يشمل كل الحيوانات المفترسة والسامة التي تؤدي أدوارا حيوية هامة في الطبيعة، ثم إن وجود كثير من المخلوقات الصغيرة التي تحمل ضررا للإنسان تؤدي دورا تربويا هاما جدا في جانب الإنسان، حيث تنبهه إلى إطلاق القدرة الإلهية في الكون، فالله تعالى بقدرته ذلل لنا حيوانات كثيرة منها، بين الصغير والكبير، حتى أننا نجد الطفل الصغير يقود جملا كبيرا أو فيلا ضخما بكل يسر وطواعية، ونجد الجزار يقود الثور الكبير إلى المذبحة -ليستفيد الإنسان من لحمه- دونما كثير عناء، وحتى لا يغتر الإنسان بما سخر الله له، ولا يغفل أن ذلك حاصل بقدرة الله وفضله؛ ينبهه وجود مخلوقات عصية عن الترويض ولا نستطيع تسخيرها، وأن مصدر ذلك التسخير وتلك النعم هو الله تعالى[79].

فإذا كان هذا هو حال الإنسان من القصور والعجز، والحاجة الدائمة إلى قدرة الله وعونه، فعليه أن يتأدب مع ربه، وأن يلزم حده ويعرف قدره، فهو الله المتفضل عليه بكل تلك النعم، فكن لله شاكرا، وله طائعا، وعليه مقبلا، وإلى منهجه خاضعا[80].

**6-1-6- الموت :**

يرى البعض أن الموت هو شر عظيم يصيب الإنسان، فمادام الإنسان يعيش في هذه الدينا وينعم بخيراتها، ويجتهد قصار جهده وطول حياته لتحقيق ما يريد، حتى إذا ما

توفرت له جميع احتياجاته في الحياة وأصبح في أرغد العيش، جاءه الموت ليضع نهاية لحياته، حيث يترك كل ما بناه وراءه، فلماذا يوجد الموت وما يتبعه من آلام الفراق؟

يكشف لنا الشيخ الشعراوي أن أسباب هذا الاعتقاد الخاطئ، هو النظر إلى الدنيا باعتبارها الحياة الحقيقية الخالدة، لكن المؤمن يعلم بما أتاه الله من هدى إلهي عن طريق الرسل أن الحياة الدنيا مرحلة قصيرة تقودنا إلى الحياة الحقيقية الخالدة[81]، فالدنيا أيام معدودة مليئة بالبلاء والاختبار، ينتقل بعدها الإنسان إلى مستقره الذي يتحدد بمدى إتباع المنهج الإلهي أو مخالفته، قال تعالى:﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[82]، فالموت ليس أصيلا في الكون، ولكنه رحلة عابرة، فقد كنا أمواتا ثم نفخ الله فينا الأرواح، ثم نموت ونعبر إلى الحياة البرزخية، ثم نبعث إلى عالم الخلود حيث لا موت بعدها، فالموت له نهاية، أما الحياة فهي الأصيلة في الكون[83].

إذن، نظرة الإنسان للموت على أنه شر خالص، وحزنه على فراق محبوبيه يهون، حين يستحضر يقينه بأن الموت بوابه لعالم الكمال الخالد، الذي يجد فيه الإنسان السعادة والطمأنينة الكاملة، فالإنسان يسير في الحياة إلى هدفه المنشود في عالم الكمال، وما الموت إلى إيذان بالرحيل إلى الهدف الحقيقي لوجود الإنسان، فلماذا الحزن والأسى[84].

### 6-2- الشرور الأخلاقية:

بيّن الشيخ الشعراوي في كتاباته أن الله تعالى خلق الكون على أساس سليم من الإتقان والجمال، بهدف عبادته وتسبيحه وتمجيده وتعظيمه، فكل هذا الكون خاضع ساجد له، منسجم في كل شيء مع إرادته التكوينية والتشريعية، حيث لا يرى المتأمل فيه أي خلل أو شرور حاصلة في العالم العلوي، رغم تعقيده وسعته وما يتضمنه من المجرات والنجوم والكواكب، فهو يؤدي واجباته وأهدافه التي أرادها الله منه، كما لا تحيدُ جميعُ الحركات والوظائف الكونية في الحياة عن السنن والقوانين الربانية الشاملة؛ التي تكفل الحياة الخيرة لكل خلقه، فلكل شيء قواعد تحفظه وتقوده إلى تحقيق مهمته والوصول إلى غاياته[85].

فمن أين تحدث الشرور في الكون ؟ مادام الكون كله خير، وما قد يبدوا لنا شرا هو في حقيقته خير نلمس جوانبا من حكمه وقد تغيب عنا جوانب أخرى.

يذكر الشيخ الشعراوي في معرض تفسيره، أن الله عرض الأمانة على السماوات الأرض فأشفقت من حملها، إلا الإنس والجن فقد اختارا تحملها، وأن لا يكونا كغيرهم من المخلوقات التي تعبد الله قهراً، وأن يكون خضوعهما وعبوديتهما أساسها الاختيار الذي منحه الله للإنسان، فيعبده من يعبده عن حب وشكر له ﷻ[86]، فالإنسان يمتلك القدرة -بما أمده الله- على فعل الخير أو الشر، وعلى الإيمان والكفر؛ وعلى القيام بالفعل وضده، وهذا لا يعني أن الإنسان خالق أفعاله كما ذهبت إليه بعض المذاهب الإسلامية[87]، فكل فعل من أفعال العباد من خلق الله، ودور الإنسان فيها هو توجيه الأفعال إلى الخير أو الشر، فالله هو خالق الجوارح، والإنسان له قدرة على توجيه الطاقة للفعل بالميل والاختيار الذي هو محل التكليف، وهو مناط المسؤولية العظيمة التي يترتب عليها الجزاء العادل من الله تعالى[88].

فالإنسان إذن هو مصدر الشرور الحاصلة في الكون، وتلك الشرور هي فاتورة الحرية البشرية، إذ لا وجود للاختيار والحرية في دائرة فعلٍ محصور في الخير، وما دام الإنسان حرا فيصدر عنه الخير والشر، والواجب على الإنسان أن يعي ذلك ويلوم نفسه ويراجعها عن وجود الشرور في العالم، ولا يلقي باللوم على أحد غيره.

ووجود الإنسان ليس شاذا عن بقية الخلق، وعن السنن والقوانين الربانية التي تحكم الوجود، فقد بين الله تعالى له سبيل الخير، ومنهج الصلاح والفلاح، وأرشده إلى الهدى الذي يحمل التعاليم الإلهية التي تحقق الخير له في الدنيا والآخرة، فمن اللحظة الأولى لنزول أبى البشرية آدم ﵇ إلى الأرض، لفت الله انتباهه إلى أن الكون قائم على منهج للحياة؛ فالله تعالى بعدله وفضله لن يدع البشرية تائهة دون هداية إليه، وأن مسؤولية الإنسان إن رام السعادة والنجاة والخير في الدنيا والآخرة تتمثل في الخضوع والانقياد الإرادي لهذا الهدي الرباني، قال تعالى:﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾[89]، فمن البداية كان الإنسان على بينة بأن الشقاء والشرور تأتي من اختياره البعيد عن المنهج الإلهي[90].

ومع وجود البيان يبقى للإنسان المكنة والاختيار في احترام تلك السنن، فيحصل منه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وقد يختار أن يتجاهلها ومعارضتها فيحصل الفساد

والشرور المختلفة التي نرى أغلبها في الحياة، إن الإنسان بابتعاده عن المنهج الرباني وبمخالفته الإرادة التشريعية في الوحي الإلهي؛ هو مصدر كل الشرور الأخلاقية التي نراها، وما يترتب عنها من التعاسة والشقاء؛ العاجل والأبدي[91].

ومن جانب آخر نجد أن كسب الإنسان هو من يضفي الحكم على كثير من الأشياء في الكون باعتبارها خيرا أو شرا، فكل موجود أوجده الله تعالى في الكون هو خير من حيث الأصل، واستعمال الإنسان له وتعامله معه هو ما يبقيه على أصالته أو يحرفه عن مساره ليصبح شرا، فصنوف الطعام من حيث الأصل هي خير لكن الإنسان قد يصنع منها المسكرات والمخدرات والسموم وغيرها من الشرور، والشمس والكواكب والنجوم والجبال والأحجار كلها خير في الكون لكن الإنسان هو من يحولها إلى معبودات ويستعملها في التنجيم والسحر فيصبح الأمر بالنسبة إليه شرا، وقل مثل ذلك في كل شيء، فالأشياء وسائل واستعمالها هو ما يحدد الحكم عليها بالخير والشر[92].

إن الإنسان بغروره أيضا يتجه إلى مخالفة نظام الكون بدعوى التطوير والتعمير والإصلاح، لكنه في كل مرة يقع في انتكاسة تلو أخرى، مثال ذلك ما يحصل في قطعه الأشجار وإفناء الغابات التي تمثل رئة الأرض، ويبني بدلا عنها المصانع التي تنفث سمومها في الجو حتى أثرت بشكل فادح عن طبقة الأزون؛ وأخذ يستعمل أيضا المبيدات والمقويات الكيميائية للنباتات حيث أدت إلى إفساد النبات وتسميم الإنسان والحيوان وانتشار كثير من الأمراض الفتاكة، كما استخدم الكيمياويات المختلفة في الأدوية للعلاج فأدت إلى كثير من الأعراض الجانبية المهلكة، أخذ ينادي بالحرية الفردية وتوسعتها حتى شملت كل محرم وشاذ، فأدت إلى ظهور مرض نقص المناعة الخطير[93]، وأخذ ينادي بالحرية الاقتصادية دون أي قيود حتى أصبح الربا أساس الاقتصاد العالمي وأصبح قيمة الربا تفوق أضعافا قيمة رأس المال، وقل مثل ذلك في كل ما خالف فيه الإنسان منهج الوحي، وادعى لنفسه القدرة على سياسة نفسه وعلمه بما هو خير له[94].

والشيخ الشعراوي يؤكد في مواضع عديدة من كتابته أن سبب الشقاء والشرور في العالم المعاصر -رغم ما توصلت إليه البشرية من تطور علمي ومادي كبير- هو ترك المنهج

الإلهي، والاستعاضة عنه بالقوانين الوضعية التي تتضمن التشريعات البشرية للناس، فالإنسان لا يمكنه مهما بلغ من العلم والتطور أن يشرع لنفسه القواعد الكلية المنظمة لحياته والمحققة لغاية وجوده، لأنه مهما بلغ من التطور والذكاء يبقى محدودا بحيز الزمان والمكان وعدم معرفة الغيب والمستقبل، لذا نجده في كل مرة يطور تلك القوانين ويعدلها، بعدما يكتشف عوارها ونقائصها والشرور الناجمة عنها[95].

وفي المقابل يترك المنهج الإلهي الذي يضع في الاعتبار كل ما خلق الإنسان من أجله، وما يحتاجه في الحاضر والمستقبل، كما يلبي احتياجات كيانه المادي والمعنوي، لأن الله تعالى قيوم السماوات والأرض، وهو حين يقنن للبشرية يقنن عن علم تام مطلق لا يتجدد، قال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾[96]، فالتشريع الإلهي – من الله منة وفضلا ، ولا نفع يعود فيه على الله– غير قابل للاستدراك أو التعقيب، ومن يستدرك على الله ﷻ إلا القوم الجاهلون! ممن يدعون أن الأحكام الشرعية غير ملائمة لمتطلبات العصر واحتياجاته، لكن الحقيقة أن حكم الله تام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو جماع الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة[97].

ويحصر الشعراوي أسباب بُعْدِ الإنسان عن المنهج الإلهي في أمرين رئيسيين هما:

**الأول: الغفلة:** التي تحصل بأمرين: إما النسيان لهذا المنهج، حيث يفتتن الإنسان بإتباع هواه وشهواته، أو يطول عليه العهد فينسى الانقياد وإتباع الأوامر الإلهية؛ أو بالتحريف حين يجترأ الإنسان على تحريف وتبديل الهدي الإلهي، وذلك بتغيير الموجود والإضافة له مع نسبته لله تعالى، قال تعالى:﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[98].

**ثانيا: تقليد الأبناء للآباء:** ويحصل ذلك حين يبتعد الآباء عن المنهج الإلهي، ثم يتبعهم الأبناء ، ويمتد الأمر بذلك أجيالا متعاقبة، وكل جيل قد يزيدون من درجة الانحراف حتى لتكاد تنطمس أبرز معالم الهدي الرباني، قال تعالى:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[99].

فالغفلة بالنسيان أو التحريف أو تقليد الآباء هي أسس المعصية والكفر، وقد نبهنا الله

تعالى في آيات القرآن إليها حتى نتنبه فلا نقع فيما وقعوا فيه من انحراف، ونحذر من هذه الأعذار التي لا تنجي ولا تغني يوم القيامة[100].

إن الإنسان إذن هو سيد قراره، وما تفضل الله به عليه من منحة الاختيار وحرية الفعل، هي النعمة التي عليه أن يحسن استثمارها، فيكون لمنهج ربه متبعا، وعن إتباع شهواته وهواه مبتعدا، حتى لا يقع فريسة نفسه، فيفسد في الأرض ولا يصلح، ثم تجده بعد ذلك حيران أسفا ، يتساءل عن مصدر الشرور وضرورة وجودها.

**7ـ فوائد وجود الشرور**:

يرى الشعراوي أن لكل أنواع الشرور فوائد عديدة، بينها في العديد من المواضع في كتبه، نشير إلى أهمها باختصار:

- الشر جندي من جنود الحق، ذلك أن الشر بوجوده في الكون يعض الناس بمساوئه وإفساده وآلامه حتى يتجه الناس إلى الخير ويتمسكوا بحلاوته وصلاحه، ويتجندوا وتتقوى حماستهم للدفاع عن الحق وأهله بكل ما أوتوا من جهد وقوة، فوجود الشر يحمسنا للخير والحق، ومهمة الشر في الوجود أن يتجند أهل الخير وتجتمع عناصره، ويفرز أهل الباطل وتنكشف خبايا نفوسهم[101].
- إن وجود الشر وأعوانه في مجتمع يعتبر وسيلة اختبار حقيقية لكل أهل الخير وحملة الميراث النبوي من العلماء والصالحين، وكما تعرض الأنبياء عليهم السلام إلى أشد أنواع الإيذاء من أهل الكفر والطغيان، فإن ورثتهم من المؤمنين سينالهم من ذلك البلاء بمقدار إيمانهم وأدائهم لواجب التذكير بالحق والدعوة إلى الخير وسبله، ووجود الشر وحزبه من شياطين الإنس والجن، وعداؤهم الشديد للحق هو من يفرز درجات الصبر والتحمل لدى المؤمنين في مجابهة الباطل[102].
- المرض وأمثاله من البلايا والشرور، بقدر ما تشعر الإنسان بالألم، إلا أنها تعطي المؤمن صحة أكبر من صحة البدن، وهي صحة الدين، فلا عافية مع قبح المعصية والظلم[103]، كما أن لوجود المرض والبلايا فوائد في تذكير الإنسان وإعادته إلى الخضوع والعبودية وتنبيهه إلى عجزه وحاجته إلى ربه.

❑ كل ما يصيب الإنسان من ألوان الشرور والبلايا؛ مسجل في سجل البلايا التي إذا ما قوبلت بالرضا كتبها الله في ميزان العبد حسنات كثيرة، ونال بسببها الأجر في الدنيا والآخرة، وحين يستشعر الإنسان ذلك الثواب العظيم -الذي لا يدع صغيرة ولا كبيرة حتى الشوكة التي يشاكها الإنسان- فكل البلايا تهون عليه، ويستقبلها بسعادة وسعة في الصدر؛ أملا في نوال المرجو عند الله من الجزاء[104].

❑ إن المصاب والمبتلى بالمرض مثلا يكون محل رعاية الله وأهلا لمعيته، ففي الحديث القدسي: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ ...»[105]، فالله تعالى ابتلى المريض بأخذ نعمة الصحة، وأعطاه شيئا عزيزا لم يعطه الصحيح، ويفوق في مكانته نعمة الصحة ذاتها؛ وهو معية المُصِّح، ولا شك أن الفارق عظيم بين مصاحبة النعمة ومصاحبة المنعم[106].

❑ كثير من الشرور تمثل صورة من التنبيه المبكر لوجود خلل أو حلول خطر أعظم، فالألم مثلا هو رسول العافية من الجسم للإنسان، حيث ينتبه إلى أن هناك خللا ما يحدث في الجسم ولابد من أخذ الأسباب لعلاجه[107].

❑ إن اليقين بالرعاية الإلهية وإرادة الخير الشاملة من الله تعالى، تعطي المؤمن الوقاية الإيمانية للأحداث التي تحيط به، فإذا وقع أي مكروه أو شر للإنسان، تذكر قول الله تعالى:﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[108]، وقوله ﷻ :﴿**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[109]، وتأكد أن الله قد يضع له فيما يكره خيرا كثيرا، وأن الخير فيما اختاره الله له، فيخف ألمه بالمكروه، ويجعله دائم التفاؤل والاستبشار بوعد الله المستقبلي[110].

وجماع الفوائد أن الشرور في حقيقتها بوابة لخير عظيم، وفوائد عديدة لا تقطف ثمارها دون فاتورة من الصبر على الشرور، وحسن تعامل معها، بما يحقق الصلاح والفلاح والخير في الدنيا والآخرة.

## 8- وجود الشرور والعدل الإلهي :

لقد ظل التساؤل حول الشرور وربطها بالعدالة الإلهية دائم الورود عند المؤمنين، فالمؤمن ليس ملحدا منكرا لوجود الخالق بسبب ما يراه من شرور، لكنه مع يقينه بوجود الله قد يتساءل عن كيفية الجمع بين وجود الشرور واليقين بعدالة الله ورحمته، وفي ما يأتي محاولة لتملس ما تطرق إليه الشيخ الشعراوي من التوافق والانسجام الكامل بين العدالة الإلهية ووجود الشرور.

### 8-1- التكليف العادل:

إن جانبا كبيرا من الشرور الحاصلة في الكون هي من صنف الشرور الأخلاقية التي سببها الإنسان وتقصيره عن الالتزام بسنن الله وقوانينه في الكون، ولأن العقل البشري محدود قاصر عن اختراق حجب الغيب، فغاية ما يصل إليه هو اليقين بوجود خالق عظيم لهذا الكون، لكن أن يعرف من هو؟ وماذا يريد منا ؟ وما الغاية من إيجادنا؟ .. تلك أمور فوق طاقة العقل، والله بعدله ورحمته لم يتركنا في حيرتنا فأرسل إلينا الرسل كي ينيروا بصيرتنا، ويعرفونا بالله وبواجباتنا تجاهه، وبدورنا في الحياة حتى نحققه، ونسلك سبيل الهداية والصلاح في الدنيا والآخرة[111]، ونبتعد عن أي سبيل يكون طريقا ومصدرا للشرور والمفاسد المختلفة.

لقد بين الله تعالى للعباد منهج الحياة، وأنزل لهم الشريعة تكليفا ربانيا واضحا، كما لن يحاسبهم إلا بعد البيان والبلاغ التام، فلا تكليف لمن لم تبلغه الدعوة، ومع تضمنه الشرع من الأمر والنهي والحساب والوعد والوعيد، تركهم الله في سعة دون أي مفاجئة، حتى يتسنى لكل منهم الاختيار الحر والتوبة عن الخطأ والمسارعة للعمل الصالح، ويكون كل إنسان شهيدا على نفسه، ولا يدعي الجهل ولا الغفلة، ويكون جزاؤه جزاءا عادلا بما كسبت يداه[112].

وحين كلف الله الإنسان بإقامة الشريعة وما تتضمنه من أمرٍ بالخير ونهيٍ عن الشر، إنما كلفه بما يتماشى مع فطرته، وينسجم ومع النظام الوجودي من جهة ثانية؛ بحيث يكون كل ما خلق الله في توافق وانسجام كامل، فالذي يقبل على الخير مثلا: لا يجد في نفسه معارضة لملكة من

ملكاته المتنوعة، فإذا نظر مثلا إلى الحلال كان مطمئنا ومرتاحا لفعله، لكنه لو اختلس النظر للحرام تجده مرتبكا وحرجا، وإذا أخذ مال حلالا تجده به مسرورا، وينفقه وهو سعيد، أما إذا استولى على الحرام تجده قلقا وخائفا، ذلك أن فعل الشر ليس أمرا طبيعيا في النفس ويحتاج إلى افتعال يخرجها من فطرتها[113].

وكل التكاليف الشرعية داعية إلى فعل الخير والبعد عن الشر، وهو ما يقرره الفقهاء والأصوليون في كتبهم؛ قال الآمدي: "المقصود من شرع الحكم إنما هو تحصيل المصلحة أو دفع المضرة، فذلك إما أن يكون في الدنيا أو في الآخرة"[114]، وبين القرطبي أنه: " لا خلاف بين الفقهاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية"[115]، وقال الشاطبي مؤكدا هذا المعنى: "المعلوم من الشريعة، أنها شرعت لمصالح العباد، فالتكليف كله، إما لدرء مفسدة، وإما لجلب مصلحة، أولهما معا"[116]، فالتكليف هو تكليف بالخير الذي يحقق للإنسان ذاته وسعادته في الدنيا والآخرة، والله تعالى لا يكلف إلا من أحب وأحب له الخير، ولا يعود على الله من تكليفنا نفع، فالله غني عن العالمين[117].

والتكليف وإن حمل مشقة جزئية في مخالفة هوى النفس وشهواتها، فهو يحمل في طياته خيرا عظيما، فإن قَيَّدَ حركتك في أن تلحق الشر بالغير، فهو -في نظرة أعمق وأشمل- قيد الجميع من أن يلحقوا بك أي نوع من الشرور، فالكاسب الحقيقي هو مجموع المكلفين بعيشهم آمنين في سلام من الظلم والعدوان، وكل التكليف هو دعوة إلى الخير الذي لا يرتد على صاحبه بأي نوع من الشرور[118].

فإتاحة إمكانية وجود الشرور التي تتطلبها الحرية الممنوحة للإنسان في الفعل، يقابلها البيان الكامل للتشريع الذي يعصم الإنسان من أن يكون مصدرا للشرور في هذا العالم، وليس على الإنسان إلا أن يلوم نفسه عن التخلي عن هدي ربه إلى ما يحقق سعادته ويبعده عن المفاسد والشرور، مما يستوجب أن يكون في مستوى تحمل مسؤوليته عن مختلف أفعاله.

**8-2- المسؤولية الكاملة:**

يتعذر البعض المسرفين ممن يُقْدِمُونَ على الكفر والمعاصي بأن الله تعالى هو من كتب عليهم الكفر والعصيان والشرور، وأنه لا يحدث شيء في الكون إلا بقدر الله ﷻ، وأن الله

هو الذي يهدي ويضل، وأن ما فعلوه هو تجسيد لقضاء الله وقدره النافذ رغم إرادتهم، فلماذا يحاسبهم الله ويعذبهم يوم القيامة؟

والقول بأنه لا يحدث شيء في الوجود إلا بقدر الله تعالى صحيح، وأن كل ما يحدث لا يخرج عن مشيئته، وأن الله تعالى لو شاء لهدى الناس جميعا؛ لكن بأي مفهوم؟ هل هو المفهوم الخاطئ الذي يعني أن الله تعالى أجبر العصاة والكفرة على أفعالهم ؟ كلا؛

يُصَحِّحُ الشعراوي هذا التصور الخاطئ بتأكيده على أن الله تعالى لو شاء لآمن من في الأرض جميعا، لكن الله بحكمته شاء أن يمنح الإنسان القدرة على الاختيار بين الكفر والإيمان، وبين الشر والخير، وهذا الاختيار لا يخرج عن مشيئة الله الكونية، لكنه خارج عن مشيئة الله التشريعية أو داخل ضمنها باختيار الإنسان الحر لما يريده من كسب، قال تعالى:﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[119] ، فالإنسان كما هو قادر على فعل الخير قادر على فعل الشر ضمن المشيئة الكلية لله تعالى، وقد سجل القرآن هذه الأعذار الواهية من المشركين والعصاة، قال تعالى:﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾[120]، وهو تنصل من المسؤولية الكاملة عن الإيمان والتكليف بالحلال والبعد عن الحرام عموما، والله بيّن أن هذا ديدنهم، وديدن من قبلهم ممن يتعامون عن الحقيقة[121].

فالعدل الإلهي الذي منح الإنسان الحرية على الفعل والترك، ورفع مقام الإنسان عن كثير من الخلق، جعل في مقابلها مسؤولية للإنسان على فعله، إذ يجب عليه أن يكف نفسه عن المفاسد والشرور بإرادته، فإن أبى إلا الإفساد فلا يرمي بجريرته على غيره، ولا يلتفت يمينا وشمالا متسائلا عن مصدر الشرور التي يساهم هو في وجودها وانتشارها، وعليه أن يكون مستعدا للجزاء الذي يناسب سعيه في الحياة.

**8-3- الجزاء العادل:**

بعد أن بين الله تعالى للإنسان سبيل الهداية وكلفه به، كما أمده بالحرية الإنسانية التي تؤسس لمسؤولية الإنسان على أفعاله سواء أكانت خيرا أم شرا، فإن التراتب المنطقي يقتضي

وجود مقابل لتلك المعرفة والسلوك، وهو الجزاء الذي وضعه الله عدلا في الدنيا والآخرة، وإن كان الأصل أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، إلا أن إرادة الله اقتضت كي ينتظم سير الحياة أن يكون من الجزاء ما هو عاجل، وما هو آجل يوم القيامة[122].

والمشيئة الإلهية العادلة التي سمحت بوجود الشرور الأخلاقية الصادرة عن الإنسان- كلازم من لوازم حريته- ، وباعتباره سلوكاً مخالفاً للإرادة التشريعية التي حث الإنسان على فعل الخير والابتعاد عن الشرور، فإنها جعلت الإنسان مسئولا عن أفعله، ورتبت عنها جزاءه في الدنيا ومصيره والآخرة.

وبين الشعراوي أن من اللطائف في الجزاء المقابل للأعمال السيئة، أن أصنافا من الشرور والآلام تحدث في الكون كجزاء عادلٍ وعاجلٍ؛ ناتجٍ عن مخالفة السنة الكونية التي بثها الله تعالى في مخلوقاته، فمن أسرف في أكل الطعام مثلاً، واستمر في تبذير النعمة وإنهاك جسمه بأكثر مما يحتاج، فجزاؤه الطبيعي أن يصاب بأمراض تحرمه من الطعام سنوات عديدة، ليعوض تخمته التي استمر عليها لسنوات عديدة، والذي يسرف في السهر يأتي عليه زمن لا يستطيع الحراك من فراشه، ومن كان في سلوكه منافقا -كافر القلب مؤمن اللسان والظاهر- كان متعاندا ومتضاربا في ملكاته النفسية، فيخسر رأي نفسه في نفسه ويعيش مشتتا ومعذب الضمير، ومن كان باغيا قاطعا لرحمه مفسدا في الأرض عجل الله له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة حتى لا تتعطل حركة الحياة وينعم المجتمع بالأمن والاستقرار بدل الفوضى والفساد، وكي يكون عبرة لغيره وحاجزا عن سلوك سبيل الشرور[123].

ومن ذلك أيضا؛ ما نجد في الحياة، من سطوة كثير من الظلمة والطغاة، وخاصة من أصحاب السلطة الواسعة، حين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فرغم أن وجودهم وملكهم وسلطتهم ليست خارجةً عن إرادة الله ومشيئته، فالملك والأمر بيد الله تعالى يوتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، لكن الله تعالى وضع سننا ومنهجاً عادلا في الحياة، فحيثما كانت الرعية متقية ربها وخاضعة لمنهجه، تَمَلَّكَ عليهم خيارهم، فيراعون حق الله فيهم، ويرون منهم الخير الذي يزرعونه في كسبهم وسلوكهم تجاه خالقهم، أما إذا عصى الرعية ربهم وطغوا وتجبروا، سلط الله عليهم -جزاء عاجلا- من يربيهم ويذكرهم بفعلهم، وهو

سبحانه بعدله لا يربي الأشرار بالأخيار، لأن الأخيار لا يستطيعون تربية الأشرار لما يملأ قلوبهم من الرحمة، قال تعالى:﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[124]، وقال سبحانه:﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[125]، والخير لا يدخل المعركة بين الأشرار، والحكمة والعدل الإلهي يقضيان أن يذيق الظالمين بعضهم بأس بعض لعلهم يرجعون[126].

إن شرورا عدة تصدر عن الإنسان لا يؤخر الله جزاءها إلى الآخرة، حتى يرى المفسد والظالم نتائج سوء أعماله، ولا يصل الفساد في الأرض حد الإخلال بنظام الحياة[127]، ويبقى الجزاء العظيم الدقيق عن سعي الإنسان وكسبه في الآخرة، بموازين إلهية في منتهى الضبط والدقة والعدل، فالله لم يسمح للإنسان بالاختيار والحرية إلا ليحاسبه على سوء فعاله، ويجازيه عن أحسنها، والعاقل من البشر من عرف نفسه ودوره والمطلوب منه، فلزمه وحقق الصلاح والفلاح له في دنياه وآخرته[128].

والخلاصة التي نصل إليها أنه لا منافاة بين وجود الشرور والعدل الإلهي، فقد كلف الله والإنسان وبين له سبيل الخير، وحمله مسؤولية فعله، وأعطاه فرصة وفسحة للاختيار والتوبة والإنابة، وعلى الإنسان أن يكون مسئولا ومستعدا لمقابلة الجزاء العادل.

إن صدور الشرور من الإنسان كلازم من لوازم وجود حرية الاختيار، يقابله عدلا من الله تحميله المسؤولية عما أفسده في الأرض، وما صدر عنه من مظالم لنفسه وغيره.

### 9- نتائج تربوية إيمانية:

حين يعرض الشيخ الشعراوي المسائل والجزئيات المتعلقة بقضية الخير والشر، فإنه نادرا ما يغفل الإشارة للحكمة من وجود الشرور، وأهم الفوائد التربوية الإيمانية في تزكية النفس وتقويم السلوك، وقدر رأيت أنها من اللطائف التي لا يجب إغفالها كآثار إيجابية في الموضوع، والتي تمثل داعما لحل إشكال الشرور، كما أنها تمثل سبيلا لتثبيت قلب المؤمن باعتبارها فوائد صرفة، وهو ما نتعرض إليه بإيجاز فيما هو آتٍ:

- على المؤمن أن يستشعر دائما حكمة الله في الأشياء وفي مقادير الله عموما، وبأن لله حكمة في كل أمر، تصب في صالح المؤمن في الدنيا والآخرة، وبهذا الإيمان الراسخ ينجو

الإنسان من أي صورة من صور التسخط أو الاعتراض أو الكراهية لأمر الله وإرادته، ويحل محلها الرضا والحب والتسليم بأمره في كل شيء[129].

❑ إن المطلوب من المؤمن أن يثق في حكم ربه وقضائه، وفي حكمة الله وعدله، إذ لا يصدر عن الخالق إلا الخير، والله تعالى متصف بالعلم والحكمة والرحمة، وفضله واسع، فعلى الإنسان أن يطمئن ويتوكل على الله فهو خير وكيل في كل شأنه[130]، وعليه أن يطيع الله تعالى حين يناله الخير والشر، ويحمده على العطاء والمنع، ولا يكون كمن أخبر عنهم القرآن ممن يعبدون الله على حرف، قال تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[131]، أي أن العبد يجب أن يثبت على الإيمان ولا تزعزعه الأحداث وتقلباتها، فكل صور البلاء من خير وشر هي اختبار لإيمان المؤمن[132]، ولله في كل أمره حِكَمٌ كثيرة ، والنجاح الحقيقي في تحقيق مراد الله ثقةً وحباً ورغبةً في رضوانه.

❑ على المؤمن أن يستحضر دائما أن الحياة الدنيا لا تسير في صلاح إلا وفق السنن والقوانين التي وضعها الله في الكون، فيحترم في كل أمره سُنَنَ الجبال ويراعي الإرادة التشريعية لله في الكون، حتى يهتدي إلى ما يحقق الخير له في العاجل والآجل، وإن أبى إلا الفساد ومخالفة السنن الإلهية فإنه سيتحمل آلام فعاله، وسيعود مرغما مقهورا إلى منهج الله، فلا مسيرة للحياة في ظل الخير والفلاح دونها[133].

❑ يعلم الإنسان أنه في دار امتحان وبلاء، وأن النجاح الحقيقي هو في الصبر على البلاء وتحقيق الخير، وخَطْبُ الثواب العظيم عند الله تعالى، ويعلم أيضا أن قمة البلاء والتضحية في الدنيا يحصلُ بفقد الحياة بالاستشهاد في سبيل الله تعالى، وقد وعد الله الشهداء بثواب عظيم، ويجازيهم مقابل تضحيتهم بجنس ما ضحوا به أنهم عند ربهم يرزقون، وحين يكون الإنسان في حياته مستعدا لأعظم البلاء بل يتمناه، فإن كل بلاء بعده هين ويسير[134]، حينها يُقْبِلُ المؤمن بعقيدته على الحياة دونما خوف أو تردد أمام كل التحديات والصعاب، فيعيش الحياة بحلوها ومرها راضياً سعيداً محتسباً.

❑ إن الله تعالى نزّل القرآن فرقانا بين الحق والباطل وبين الخير والشر، ومن أراد النجاة

وتَمَثُّلَ الخير وتحقيقه في حياته، عليه أن يكون من جنود الخير وفي معسكرهم؛ ضد جنود الشر ومعسكرهم، فالحياة دار بلاء واختبار واصطفاء بين الفريقين، والمؤمن الذي يتمثل الهدي الإلهي ليس له مكان إلا في دائرة الخير وأهله، بإتباع المنهج الإلهي الذي وضعه الله في الحياة والكون[135].

❑ إن كل حركة في الحياة تستوجب الحمد ، فكل قضاء الله خير، فالحمد شامل للمحبوب والمكروه، وعلى الخير والشر، ذلك أن الإنسان لا يعلم الخير على حقيقته في كل الأمور، فقد يكون المكروه له خيرا، والمحبوب له شرا، فالمؤمن يرد أمره إلى الله، ويرضى بقضائه، ويحمده ويشكره على كل ما يحدث له في الدنيا والآخرة[136].

❑ إذا أردنا السعادة الحقيقة فلا بد أن نثق في قضاء الله وقدره، ونرضى به، فهو الخير الذي علمنا منه ما علمنا وجهلنا منه ما جهلنا، وأمره نافذ رضينا أم سخطنا، وموقف الإنسان هو ما يجعله يعي الأمور بشكل صحيح يحيل حياته من البؤس واليأس إلى الثقة والحب والأمل[137].

والخلاصة أن سبيل السعادة والطمأنينة في الحياة، والفلاح والنجاح في المآل، يَحْصُلُ بفهم طبيعة الحياة كدار اختبار وما تحويه من آلام وبلايا وشرور، مستعينا عليها باحترام السنن الإلهية والإرادة التشريعية التي تجعل المؤمن راضيا بقضاء الله، حامدا لله في كل أمره، واثقا في حكمة الله وعدله، ناصرا للحق ومجندا نفسه في سبيله.

## الخاتمة:

بعد عرضنا لأبرز محاور دراسة مسألة الشر والخير من وجهة نظر الشيخ محمد متولى الشعراوي –رحمه الله – نوجز أهم، النتائج المستقاة من تصوره، وأهم الفوائد المستفادة من طرحه، فيما يأتي:

❑ يرجع الشيخ الشعراوي السبب لطرح إشكال الشرور إلى سببين هما: عدم فهم المعنى الحقيقي للحياة الدنيا باعتبارها دار بلاء واختبار، ومقدمة للحياة الحقيقية والأبدية، حيث سمحت الإرادة الإلهية بوجود جوانب من الشرور حتى يتحقق الاختبار الإلهي للإنسان؛ والسبب الثاني هو علم الإنسان القاصر، وعقله المحدود، والذي يعلم بعض الأشياء وتغيب

عنه الحكمة والفائدة من وجود كثير من الأشياء، فيدخل وجودها في دائرة الشرور.

□ يرى الشيخ أن الشر والخير في الدنيا كلاهما وسيلة اختبار، وأن الحكم عليهم لا يكون إلا بما يفرزانه كنتيجة نهائية على المصير الأخروي.

□ إن المقاييس الدنيوية كلها مقاييس لا تصلح للحكم على الخير والشر، ذلك أن الحياة كلها وسيلة إلى الحياة الحقيقة التي يجب أن يسعى الإنسان إليها، والإعداد بكل جهد لها، وأن المقاييس التي من خلالها نحدد مفهوم الشر والخير لا يمكن أن نصل إليها نحن البشر بفهمنا وعلمنا المحدود، وبالتالي فالميزان الذي يحدد طبيعة الأشياء هو الميزان الإلهي للناس، والذي يصدر عن العلم والإرادة والقدرة الإلهية المطلقة.

□ يقسم الشيخ الشعراوي الشر والخير باعتباره وسيلة محددة من الشرع ومبينة به، إلى الخير والشر الحقيقي في الحياة الآخرة، باعتبارها المصير دائم في العالم الأبدي، حيث أن الخير هو النعيم الأبدي في الجنة، والشر هو العذاب الأبدي في النار.

□ الحكم على الأشياء بالخير والشر في الدنيا أمر نسبي يتحدد باعتبار مآلاتها في الحياة الأخرى.

□ وجود الشرور في العالم أمر ضروري من حيث أنه الصورة المقابلة للإيمان، فمادام الخير موجودا فلابد من شر يقابله، ولا نستطيع معرفة الخير وتذوق حلاوته دون وجود شر نتجنبه، ونزداد في وجوده سعيا للخير وتمسكا به.

□ كل ما قد يبدو لنا شرا في الكون هو في الحقيقة خير لم نستطع بمحدودية علمنا وفهمنا أن نعرف الحكمة من وجوده.

□ الإنسان بما أمده الله من نعمة الاختيار بحرية بين الفعل والترك، هو مصدر الشرور في هذا العالم، وإعراضه عن المنهج الإلهي المنزل، هو سبب تعاسة الإنسان وحصول مختلف صور الشرور والمفاسد التي نراها في الكون.

□ لوجود الشرور فوائد عديدة ونتائج تربوية كثيرة على تزكية النفس وارتقائها، وعلى معرفة الإنسان لنفسه ومحدوديتها، ومعرفة ربه وكماله وإطلاقه، وعلى إنابة العبد لربه وعودته إليه خاضعا راغبا.

❑ لا منافاة بين وجود الشرور والعدل الإلهي المطلق، فلا يعدوا الأمر تحميلا من الإنسان مسؤولية شروره لغيره.

**ـ الحواشي والإحالات:**

1 سامي العامري، مشكلة الشر ووجود الله-الرد على أبرز شبهات الملاحدة(ط:2 ؛ مركز تكوين للدراسات والأبحاث: لندن، 2016م)، ص19.
2 عباس محمود العقاد، عقائد ، عقائد المفكرين في القرن العشرين (دط؛ دار المعارف: القاهرة - مصر ، 1984م)، ص64-65.
3 سامي العامري، المرجع السابق، ص17-18.
4 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر (دط؛ مكتبة الشعراوي الإسلامية: القاهرة-مصر، 1990م)، ص74.
5 المرجع نفسه، ص4-6.
6 توفيق طويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق (ط:1؛ مكتبة النهضة المصرية: القاهرة-مصر، 1953م)، ص21-22.
7 الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر ( مطابع أخبار اليوم: القاهرة-مصر، 1997م)، ج2، ص663.
8 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص78-79.
9 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر ، ج2، ص921-922، 925.
10 وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان (ط:4؛ دار النفائس: بيروت-لبنان، 1987م)، ص64.
11 المرجع نفسه.
12 سورة الإسراء: الآية 85.
13 سورة الروم: الآية 7.
14 سورة الأنبياء: الآية 35.
15 محمد متولي الشعراوي، الحياة والموت ( مكتبة الشعراوي الإسلامية: القاهرة-مصر، 1991م)، ص46-47.
16 محمد متولي الشعراوي، السحر والحسد (مكتبة الشعراوي الإسلامية: القاهرة-مصر، 1990م)، ص52.
17 سورة العنكبوت: الآية 64.
18 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر ، ص42.
19 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج3، ص1482-1483؛ وج4، ص2450.
20 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص6.
21 المرجع نفسه، ص61.
22 المرجع نفسه، ص22.
23 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج3، ص1482-1483؛ وج4، ص2450؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص106-107.
24 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص92.

25 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج1، ص593.
26 المرجع نفسه، ج2، ص498–499؛ وج8، ص4636–4639؛ وج18، ص11036.
27 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص58.
28 المرجع نفسه.
29 المرجع نفسه.
30 المرجع نفسه، ص20–21، 61.
31 سورة الفجر: الآية 15–20.
32 سورة الأنبياء: الآية 35.
33 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر ، ج1، ص328، 569–570 ؛ وج2، ص659؛ وج8، ص4618؛ وج12، ص7446؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص43.
34 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص38.
35 المرجع نفسه، ص54–55 ، 104.
36 سورة التوبة: الآية 55.
37 المرجع نفسه، ص70–71.
38 المرجع نفسه ، ص71–72.
39 سورة البقرة: الآية 38.
40 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج1، ص278.
41 المرجع نفسه، ج1، ص505.
42 المرجع نفسه، ج16، ص9946.
43 المرجع نفسه، ج3، ص1482.
44 عبد الرحمن بن أحمد – عضد الدين الإيجي، كتاب المواقف، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة (ط:1 ؛ دار الجيل: بيروت–لبنان، 1997م)، ج3، ص262. وانظر: محمد بن عمر أبو عبد الله التيمي – فخر الدين الرازي، الأربعين، تحقيق: أحمد حجازي السقا (ط:1 ؛ مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة–مصر، 1986م)، ج1، ص346 ؛ ومسعود بن عمر–سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (ط:2 ؛ عالم الكتب: بيروت–لبنان ، 1998م)، ج4، ص282.
45 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج1، ص137.
46 المرجع نفسه، ج6، ص3595–3596 ، 3666–3667؛ وج7، ص4487.
47 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (دط؛ دار المعرفة: بيروت–لبنان، دت)، ج4، ص258؛ وانظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (دار المعرفة: بيروت، 1978م)، ص237.
48 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر ، ج6، ص3666–3667.
49 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص62.
50 المرجع نفسه.
51 المرجع نفسه.
52 المرجع نفسه، ص67.

53 سورة آل عمران: الآية 26.
54 المرجع نفسه، ص65-66؛ وانظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج17، ص10847.
55 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص22.
56 المرجع نفسه، ص63.
57 سورة الإسراء: الآية 85.
58 سورة البقرة: الآية 216.
59 المرجع نفسه، ص64-65.
60 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج16، ص9726.
61 المرجع نفسه، ج1، ص178-179؛ وج4، ص2450.
62 محمد بن محمد-أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي (ط:1؛ الجفان والجابي: قبرص، 1987م)، ص64-65.
63 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص38.
64 سورة فصلت: الآية 10.
65 المرجع نفسه، ص75.
66 المرجع نفسه، ص74-75.
67 المرجع نفسه، ص76.
68 المرجع نفسه، ص76-77.
69 محمود فوزي، الشيخ الشعراوي. الحكمة الإلهية للمرض والشفاء (ط:2؛ دار النشر هاتييه: القاهرة-مصر، 1994م)، ص28، 30.
70 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص81-82.
71 المرجع نفسه، ص85.
72 المرجع نفسه، ص85.
73 المرجع نفسه، ص86-87.
74 المرجع نفسه، ص87.
75 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر ، ج1، ص328.
76 سورة الإسراء: الآية 11.
77 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص67-68. وانظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج6، ص3767؛ وج7، ص4174؛ وج10، ص5843.
78 تفسير الشعراوي – الخواطر، ج2، ص784؛ وج9، ص5763-5765 ؛ وج14، ص8396.
79 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص80-81.
80 المرجع نفسه، ص81.
81 الشعراوي، البعث والميزان والجزاء. (دط؛ دار الندوة: الإسكندرية-مصر، 1991م)، ص62.
82 سورة العنكبوت: الآية 64.
83 الشعراوي، الحياة والموت (دط؛ مكتبة الشعراوي الإسلامية: القاهرة-مصر، 1991م)، ص47-48.

84 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج3، ص1482-1483؛ وج4، ص2450.
85 وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص16-18.
86 محمد متولي الشعراوي، الحياة والموت، ص86.
87 وهو قول فرقة المعتزلة والشيعة الإمامية وغيرهم.
88 الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج1، ص638؛ وج7، ص4470 ؛ وج13، ص7906.
89 سورة طه: الآية 123.
90 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص23، 28.
91 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج10، ص6036؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص20؛ ومحمد متولي الشعراوي، الحياة والموت، ص84-86.
92 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر ، ص101-104؛ وانظر: محمود فوزي، الشيخ الشعراوي . الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص33.
93 محمود فوزي، الشيخ الشعراوي. الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص29.
94 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص77-79.
95 المرجع نفسه، ص34-35، 74، 78-79.
96 سورة آل عمران: الآية 5.
97 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج2، ص1267-1268؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص34-35.
98 سورة البقرة: الآية 79.
99 سورة البقرة: الآية 170.
100 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص31-32.
101 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج7، ص4417؛ وج10، ص6244.
102 المرجع نفسه ، ج9، ص5245، 5330.
103 محمود فوزي، الشيخ الشعراوي. الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص28، 35.
104 المرجع نفسه، ص31-32.
105 وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (دط؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، دت)، كتاب البر والصلة والآداب، برقم 2569، ج4، ص 1990.
106 محمود فوزي، الشيخ الشعراوي .الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص32-33 ؛وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص83.
107 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج7، ص3876؛ وج10، ص6244؛ وانظر: محمود فوزي، الشيخ الشعراوي .الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص35.
108 سورة البقرة: الآية 216.
109 سورة النساء: الآية 19.
110 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر ، ص98، 107.
111 المرجع نفسه، ص27.

112 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج9، ص5428؛ وج15، ص9474-9475؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص25.

113 الشعراوي، تفسير الشعراوي –الخواطر، ج3، ص1482؛ وج4، ص2450؛ وج16، ص10215.

114 علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي (دط؛ المكتب الإسلامي: بيروت-لبنان، دت)، ج3، ص271.

115 محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط:2؛ دار الكتب المصرية: القاهرة-مصر، 1964م)، ج2، ص64.

116 إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (ط:1؛ دار ابن عفان: القاهرة-مصر، 1997م)، ج1، ص318.

117 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج2، ص925.

118 المرجع نفسه، ج3، ص1482؛ وج12، ص7103؛ وج16، ص9946.

119 سورة الكهف: الآية 29.

120 سورة الأنعام: الآية 148.

121 المرجع نفسه ، ج7، ص3978-3979؛ وج13، ص7906؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص25، 62.

122 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج1، ص64، 439.

123 المرجع نفسه، ج10، ص5854-5854-5855؛ وج17، ص10303-10304؛ وانظر: محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص82-83.

124 سورة الأعراف: الآية 167.

125 سورة الأنعام: الآية 129.

126 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج7، ص4417؛ وج9، ص5544-5546.

127 المرجع نفسه، ج1، ص439.

128 الشعراوي، البعث والميزان والجزاء ..، ص60، 63؛ وانظر: الشعراوي، الخير والشر، ص62.

129 محمود فوزي، الشيخ الشعراوي. الحكمة الإلهية للمرض والشفاء، ص28، 31.

130 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج17، ص10847.

131 سورة الحج: الآية 11.

132 المرجع نفسه، ج16، ص9724.

133 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر، ص17-18.

134 محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، ج2، ص659.

135 المرجع نفسه، ج2، ص1267-1268.

136 المرجع نفسه ، ج1، ص63. (بتصرف)

137 محمد متولي الشعراوي، الخير والشر ، ص96-97، 107.

# The Question of Evil and its Relation to Divine Justice in the Thought of Shaykh Muhammad Metwalli Al-Sharawi.

By: Ahmed Ameur Bey
E.A.K. UNIVERSITY- Constantine & El-Oued University

**Abstract:**

The objective of this article is to address the problem of good and evil, which has been and still is a subject of great controversy between scholars and philosophers. The subject of the study is Sheikh Mohamed Metwally Al-Sharaawi's response to the challenges of his time by standing firmly against the suspicions raised by this issue. The existence of many great evils in modern times has raised questions about the source of its existence, its usefulness and wisdom, and allowing it to occur in a world in which nothing is beyond the will of God.

This article highlights the approach of Sheikh Mohammed Metwally Al-Sharawi as one of the most prominent modern scholars who dealt with the issue in detail in an attempt to dismantle this node and answer the questions raised by defining the concept and source of good and evil. And to stand on the most important judgment and the benefits that man gets in the presence of evils.

**Keywords:** Good , Evil , Divine justice , Al-Shaarawi.